استراتيجية خطاب شيخ الأزهر في مؤتمر الأزهر العالمي للسلام
"مقاربة سيميائية حجاجية"

دكتور/ حمد الله عبد الحكيم محمد
مدرس البلاغة والنقد الأدبي- كلية الآداب في قنا
جامعة جنوب الوادي

الملخص:

يحاول البحث قراءة خطاب شيخ الأزهر في المؤتمر العالمي للسلام إبريل ٢٠١٧م قراءة سيميائية حجاجية تكشف عما يحمله الخطاب من توجهات وأسرار، وتميط اللثام عن الأدوات الخطابية المستخدمة، وآليات الإقناع والتأثير سواء كانت لغوية أو غير لغوية، من خلال تحليل أجزائه؛ للوقوف على أبرز التقنيات التي استخدمها الخطاب وكانت سببا في مقبوليته عند المتلقي، مستفيدا في ذلك مما قدمته مدارس تحليل الخطاب من آليات يمكن بها قراءة الخطاب قراءة تستنطق النص وتجعله يبوح بمكنوناته في منهج تحليلي يحلل ورود عدد من الظواهر بكثرة مع بيان أسبابها، ومن هذه الأدوات: الإشاريات في الخطاب ومواضع ورودها مع بيان دقة توظيفها ودلالاتها، ثم الحذف أو النص الموازي دراسة وعرض لما سكت عنه الخطاب من ملفوظات، وهي أشياء يمكن للمتلقي فهمها وإدراكها عبر التلميح تارة، أو من خلال استدعاء النقيض تارة أخرى، ثم تعرضت الدراسة لطريقة تنظيم الخطاب والتناسب بين فقره وأجزائه، وكذلك الوقوف على أدوات التحليل الأسلوبي والبلاغي للخطاب من خلال تحليل ظواهر التكرار، وسُلطة الاستفهام، ومراعاة النظير، والاستعارة وكلها آليات تكرر ورودها، وظهر اعتماد الخطاب عليها كآليات حجاجية تأثيرية، وذلك لمناسبتها لظروف الخطاب ودورها في التأثير والإقناع، ثم قدمت الدراسة لمواضع توظيف التناص والاستشهاد بالنصوص والأحداث التاريخية، ونظرا لطبيعة الخطاب الحجاجية أفردت الدراسة مساحة لدراسة الروابط والعوامل الحجاجية في الخطاب، وكذلك القياس الحجاجي، كما عرضت للسلم الحجاجي كآلية مهمة تعبر عن تدرج الحجج في الخطاب للوصول إلى عملية الفهم والإفهام، وأخيرا عرَّجت الدراسة على

رد أفعال الجمهور تجاه الخطاب عن طريق ظاهرة التصفيق مع العناية بدارسة مواضعها وتحليلها نفسيا وتواصليا.

الخطاب تطور وتصنيف

عني العرب بالخطاب في صورة الخطابة، والخطيب، والخطبة، والمخاطبين، وكانت الخطابة من أهم فنونهم القولية المنثورة بعد الشعر حيث كانت لهم العناية الخاصة بها، وكان لخطب قس بن ساعدة وسحبان وغيرهم من الخطباء والبلغاء شأوا عظيما، ولم تقتصر الخطبة على غرض واحد بل تنوعت وتعددت أغراضها من سياسية إلى دينية إلى حماسية وغير ذلك، كما أولى الإسلام اهتماما بالخطابة فجعل للخطبة موعدا وميقاتا أسبوعيا ارتبطت فيه بيوم الجمعة، وللنبي صلى الله عليه وسلم خطب مهمة وكذلك كبار الصحابة، ثم اهتمت العصور المتتابعة بالخطابة كنوع من التأثير في الجماهير الذي يختلف في النوعية عن تأثير الشعر.

وقد وردت كلمة خطب في معاجم اللغة بمعان كثيرة أهمها الكلام بين مرسل ومستقل؛ فتقول المعاجم: "خاطبه مخاطبة وخطابا وهو الكلام بين متكلم وسامع، ومنه اشتقاق الخطبة بضم الخاء وكسرها باختلاف معنيين؛ فيقال في الموعظة: خطب القوم فهو خطيب، والجمع الخطباء، وهو خطيب القوم إذا كان هو المتكلم عنهم"[1]، وفي المقاييس الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، وفي النكاح الطلب أن يزوج، قال الله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ (البقرة: ٢٣٥)، والخطبة: الكلام المخطوب به. ويقال اختطب القوم فلانا، إذا دعوه إلى تزوج صاحبتهم. والخطب: الأمر يقع؛ وإنما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة"[2]، "والخطب الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب؛ قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾(طه:٩٥) – ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (الحجر:٥٧)، وفصل الخطاب: ما ينفصل به الأمر من الخطاب"[3]، وتدور معاني الجذر اللغوي لكلمة خطب حول مراجعة الكلام بين مرسل ومستقبل، والدعوة إلى شيء، والتقدم للزواج، والأمر المهم الواقع.

---

[1] المصباح المنير، للفيومي، (مادة: خطب).

[2] مقاييس اللغة، لابن فارس، (مادة: خطب).

[3] المفردات، للراغب الأصفهاني، (مادة: خطب).

أما مصطلح الخطاب فيعني عند العرب-كما يقول ابن منظور-: "الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان"[1]، فالأصل في الخطاب والمخاطبة أن تكون مشفاهة مع وجود أمر مهم يقع، فلا تقع الخطابة إلا إذا كان هناك مثير قوي يدعو إلى مراجعة الكلام، وهو ظروف الخطاب الخارجية مع ضرورة حدوث هذا بين متكلم ومستمع في رسالة فيها الآليات المناسبة لكل هذه الأطراف.

وقد ورد لفظ الخطاب مرتين في النص القرآني؛ في قصص داود عليه السلام؛ قوله تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۝ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ۝ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۝إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۝ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۝﴾ (ص: ١٧-٢٣)

حيث ورد لفظ الخطاب مرتين في هذه القصة، وفيها تسلية لفؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الآيات حثٌّ له صلى الله عليه وسلم على الصبر نتيجة ما حدث من تكذيب قومه المبسوط في الآيات الأولى من مطلع سورة ص، ثم عرض لوصف داود عليه السلام بصفات كثيرة منها وصفه بالحكمة وفصل الخطاب، والحكمة تكون في القول والفعل، وزاد الحكمة في القول مطنبا في قوله: فصل الخطاب، ويعني به "البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه"[2]، كما ورد لفظ الخطاب في قوله تعالى حكاية لحال الكافرين يوم القيامة: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (النبأ:٣٧)، لا يقدرون على مخاطبته بعدما قدموا من عصيانه ومحاربة دينه، "والخطاب: الكلام الموجه لحاضر لدى المتكلم، أو كالحاضر المتضمن إخبارا أو طلبا أو إنشاء مدح أو ذم."[3]

---

[1] لسان العرب، لابن منظور، (مادة: خطب).

[2] الكشاف، للزمخشري، ٨٠/٤.

[3] التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ٥٠/٣٠.

وجاء النهي عن خطاب التوسل في شأن الكافرين في القرآن الكريم في قول الله تعالى لنبيه نوح عليه السلام بعدما أقام الحجة على من كفر به، حيث ظل يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاما؛ قال تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (هود:٣٧)، وفي قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (المؤمنون:٢٧)؛ لأن نوحا عليه السلام في هذا المقام سوف يستثمر كل ملكاته في التوسل إلى الله رغبة منه أن ينجي ابنه، وقد ذكر القرآن خطاب نوح على استحياء من الله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾(هود:٤٥)

ولم يك بلاغيو العرب بمعزل عن فنون الخطابة فهناك من الكتب التي تحوي بين دفتيها بسطا لصفات الخطيب والكلام وعيوب النطق والصوت والمخارج، ومراعاة المقام، في إشارات تحظى بالاهتمام وتعد سبقا في مجال الإحاطة بكل ما يخص الخطاب ويدور في أسباب بنائه، فقد وردت متفرقات في كتاب البيان والتبيين تتعرض لما يجب أن يكون عليه حال الخطيب والخطبة والطريقة التي تؤدى بها؛ ومنها باب في ذكر اللسان، وآخر في حسن البيان، وفي إعابة العي والحمق، وباب في التشادق والإغراق في القول، وغير ذلك مما ورد في ثنايا الكتاب، وقد جعل الجاحظ مدار البيان والبلاغة هو كل ما يتصل بحسن التوصيل وبلاغة التأثير وهي أمور تعد من أركان العملية التواصلية.

ويمكننا القول إن البيان عنده مقصوده الخطاب البلاغي الذي يعتمد على الفهم والإفهام بين المرسل والمتلقي؛ يقول عن البيان إنه "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجب دون الضمير حتى يفضي السامع الى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ومن أي جنس كان ذلك الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجرى القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذاك هو البيان"[١]، وقد دار معنى مصطلح الخطاب عند العرب بعد الجاحظ في كثير من تعريفاتهم له حول الفهم والإفهام؛ يقول علي بن محمد

[١] البيان والتبيين، للجاحظ، ص٥٤، ٥٥.

الآمدي: اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[1]، والبيان عندهم أدوات توصيل الخطاب من حيث الفهم الذي يعتمد على المرسل، والإفهام للمستمع برسالة واضحة ليس فيها عي أو خلل وبخاصة عيوب النطق.

ويمكن القول إن الفهم للمتلقي والإفهام من المرسل ورسالته ومقامها، وهي من مواصفات الخطاب وآلياته، فلا شك أن البحث البلاغي العربي قد وصل إلى مثل ما قدمته المدارس الحديثة في تحليل الخطاب وإن لم يسمها باسمها، ويضع لها القواعد والأصول والمنطلقات، لتكون علما يتوصل به إلى سبر أغوار النص وفك شفراته، وقد غلب على العرب الاهتمام بالمنهج التفسيري للخطاب؛ نظرا لاهتمامهم بالنص القرآني الذي وجههم تلك الوجهة.

كما اهتم الفكر اليوناني من قبل بالخطابة فجعل أرسطو "عناصر الخطابة ثلاثة؛ هي: وسائل الإقناع والبراهين، الأسلوب أو البناء اللغوي وترتيب أجزاء القول، ثم هناك عناصر الإلقاء الذي اعتبره الدارسون للخطابة بعد أرسطو- ومنهم البلاغيون العرب- عنصرا مستقلا يتضمن الحركة والصوت"[2]، وهذه الوسائل الإقناعية من براهين وأدلة، وأيضا بلاغة اختيار الألفاظ اللغوية المكونة للخطاب، وطريقة إلقاء الخطاب من حيث النغمة والنبر في الصوت وغير ذلك، كلها أسس جعلت منها جميع الحضارات -عربية، ويونانية، وأوربية حديثة- أدوات مهمة في قدرة الخطاب التأثيرية؛ إلا أن الفكر الغربي الحديث كان مجاله أرحب في وضع القواعد ومناقشتها، فتعددت المدارس المهتمة بهذا المجال وتفرعت وتشعبت نظرا لاختلاف الرؤى ومنابع التكوين.

وبدا أن مبعث ظهور مصطلح تحليل الخطاب في العصر الحديث هو تجاوز الجملة وبلاغتها في التحليل النقدي، -وقد كانت الجملة محط اهتمام علماء اللغات في الشرق والغرب- إلى الحديث عن بلاغة النص أو الخطاب بشكل عام؛ أي: كل ما يتلفظ به، وظهرت هذه النظرية على يد عالم اللغة الأمريكي هاريس عام ١٩٥٢م في بحثه (تحليل الخطاب)، وهو عنده "ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية

---

[1] الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، ١٣٦/٢.

[2] بلاغة الخطاب الإقناعي، د. محمد العمري، ص٢٠.

التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض"[1]، فهو يركز على قبول العلاقات فيما بين الجمل بعضها ببعض في تسلسل ومنهجية دون إقحام أو فرض لبنيات دخيلة تعيق التلاؤم بين المتتاليات داخل الخطاب.

ولا يقف الأمر في بلورة مصطلح الخطاب عند هاريس على الملفوظات ومكوناتها داخل الخطاب بل إلى طريقة التلفظ، كما بدا عند بنفست حيث يرى نجاعة الخطاب تتجلى في القيمة التواصلية للغة الخطاب؛ يقول: "هو كل مقول يفترض متكلما ومستمعا، وتكون لدى الأول نية التأثير في الثاني بصورة ما"[2]، والتأثير روح كل خطاب، ولا غنى عنه طالما وُجدت أطراف الخطاب وظروفه، أما الخطاب عند ميشال فوكو –المفكر الفرنسي– فيركز على نص الخطاب؛ حيث يقول: "هو مجموعة من العبارات بوصفها تنتمي إلى ذات التشكيلة الخطابية، فهو ليس وحدة بلاغية أو صورية قابلة لأن تتكرر إلى ما لا نهاية يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التاريخ مع تفسيره إذا اقتضى الحال، بل هو عبارة عن عدد محصور من العبارات التي نستطيع تحديد شروط وجودها"[3]، في إشارة إلى الاستعمال التداولي الفعلي للغة وليست اللغة كنظام معجمي؛ فالخطاب عنده مجموعة من العبارات التي تنتمي إلى تشكيلة خطابية معينة، ولكل خطاب أدواته وعباراته التي هي شبكة متآلفة في ألفاظها ومعانيها.

ومن هنا يمكن أن نفرق بين النص والخطاب بوصف النص جملة من العبارات والتراكيب التي تستدعى عند الحاجة إليها مع موافقة هذا الاستدعاء للسياق الواردة فيه، أما الخطاب فهو أعم وأشمل حيث لا يقف عند حدود النص بل يتعداه إلى كل ما يمكن أن يسهم في بناء النص من علاقات متشابكة ومتداخلة مختزنة في الوعي أو غير مختزنة، تأتي باختيار المرسل أو مفروضة عليه لظروف خارجية تشكل وعيه وتضبط خطابه، "وإذا كان عالم النص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاختزان من خلال استعمال النص، فإن عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما...ومصطلح الخطاب هو مجموعة

---

[1] تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، ص ١٧.

[2] تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، إبراهيم صحراوي، ص١٠.

[3] حفريات المعرفة، ميشال فوكو، ترجمة: سالم يفوت، ص١٠٨.

النصوص التي يربط بينها مجال معرفي واحد، أما عالم الخطاب فهو الهموم المعرفية"[1]، فإذا كان النص مجموعة من الأحداث اللغوية التي تحتاج في قراءتها إلى السياق المحيط بها؛ فإن كونها أحداث لغوية يجعل اهتمامها الأول مكونات هذه الأحداث من مفردات وجمل وعبارات وأخيلة، أما الخطاب فينطلق من الحدث الخارجي (المقام) فهو المفجر لاختيار مفردات لغوية معينة تصلح لهذا الموقف أو ذاك، وسواء كان الخلاف حول أي اللفظين أعم أو أخص فإنهما يتكاملان لخدمة الغرض الأسمى وهو مقصد المتكلم من كلامه، ومبعث الاختلاف بين النص والخطاب رغم تداخل المصطلحين؛ أن أحدهما: وهو النص يكون مكتوبا، أما الخطاب فيكون شفهيا.

ويقوم المتحدث لكي يعبر عن نفسه –على حد قول أوستن وسيرل– "بتأدية ثلاثة أعمال ذات قوى مختلفة في وقت واحد، أولها: القوة التعبيرية؛ وهي التعبير الظاهري المتضمن في جملة من الأصوات المتتابعة، هذه الأصوات ذات معنى محدد في موقف معين، أما القوة الثانية؛ فهي قصد أو هدف أو نية المتحدث من إطلاق هذا التعبير، وهو ما يسمى بالقوة اللاتعبيرية؛ أي محاولة المتحدث إنجاز حدث تواصلي معين، أما القوة الثالثة؛ فهي أثر أو نتيجة التعبير بالنسبة للمتلقي أو المستمع، وهي ما تعرف باسم القوة التعبيرية الفوقية؛ هذه النتيجة أو الأثر رهن بالظروف الخاصة بالتعبير"[2]، فالمتحدث هو عماد العملية الخطابية، ولكي يكون الخطاب مكتملا يجتهد المتحدث في استغلال ملكاته، ويطوعها للتوصيل المناسب للمتلقي مع رسالة ليس فيها غموض أو تعمية من خلال اللغة المتحدث بها.

وليست كل النصوص الخطابية متشابهة في ظروف تكوينها، ونظرا لهذا الاختلاف الجوهري في التكوين تختلف صياغة الخطاب الداخلية، وبخاصة "عندما نتحدث عن نص فإننا نحيل على أفق خاص له حدود معينة وتتجلى في هذا الفضاء مجموعة من الدلالات التي يسمح بها النص وهي دلالات يتعين على القراءات النقدية تحديد مكوناتها، وكشفها وتفسيرها بمنظور أسلوبي، أو بنيوي أو سيميولوجي، حيث تمثل شبكة من التقنيات الفنية المحددة بالاستعارات، والرموز وأشكال التكرار والتوازي والإيقاع والتصوير، والشفرات السردية، مما يتميز به النص الأدبي عن النصوص

[1] النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسان، ص٦.

[2] الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، د. علي عزت، ص٥١.

اللغوية الأخرى، ويدعو قارئه إلى أن يتبين فيه دلالات مفتوحة، غير أحادية منسجمة مع شكل الخطاب، ومرتبطة في الآن ذاته بطبيعته الشعرية"[1]، فلكل نص ظروف ومعايير، لكن تتفق النصوص السردية المنثورة في كثير من الخصائص مع النصوص الأدبية السردية، والخطابة جزء من هذه الفنون على مر التاريخ؛ لذا لا بد لناقد الخطاب أن يكون على دراية بهذه العلاقات بين الأجناس الأدبية كافة.

مبادئ انسجام خطاب شيخ الأزهر

يبدو الخطاب هنا منسجما مع آليات التواصل من خلال توافر الظروف الملائمة للخطاب، والتي كان لها الأثر فيما آل إليه الخطاب من نتائج، وسياق الخطاب يرتكز على مجموعة أسس؛ منها: المرسل، الرسالة، المستقبل، الزمان، المكان.

المرسل: هو منشئ الخطاب وقائله وملقيه بطريقة تتفق مع ظروف الخطاب وسياقاته المختلفة اجتماعيا وثقافيا ونفسيا، مع إلمامه باللغة وتراكيبها وطريقة الصياغة المثلى لنوعية الخطاب، ومع وجود نوازع التأثير في الآخر ومشاركته ما يؤمن به من أفكار واتجاهات، "والمتكلم حينما يوجه خطابه إلى المستمع، فإنه لا يريد أن ينقل إليه بعض الحقائق، ولكنه يريد أيضا أن ينقل إليه مشاعره تجاه الحقائق"[2]، فالخطاب ليس مجرد كلمات تقال وإنما هي كلمات محملة بتعبيرات وإيحاءات وإشارات ورموز يستطيع المتلقي فهمها إذا وافقت استعدادا ومقبولية عنده، والخطابة هي العملية التواصلية الجامعة بين ركني هذه العملية، وهي "ملكة جعل الآخرين يشاركوننا آراءنا وطريقة تفكيرنا في شيء ما، وكذلك إيصال عواطفنا الخاصة إليهم، وجماع القول أن نجعلهم يتعاطفون معنا، ويجب أن نصل إلى هذه الطريقة بغرس أفكارنا في أذهانهم بواسطة الكلمات، وذلك بقوة تجعل أفكارهم الخاصة تنصرف عن اتجاهها الأول لتتبع أفكارنا التي ستقودها في مسارها"[3]، وذلك نظرا لطبيعة الخطاب التي تهتم بكل أركان العملية التواصلية، ومقامها، وزمانها، ومكانها، بل من سينقل إليهم الكلام من غير الحاضرين عبر تقنيات التسجيل والأقمار الصناعية.

---

[1] مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، ص ١٩١.

[2] الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحي أحمد، ص٧٥.

[3] في بلاغة الخطاب الإقناعي ، د. محمد العمري، ص١٣.

والمرسل هنا **شيخ الأزهر الشريف** (أ.د. أحمد الطيب*)، وهو على رأس المؤسسة الدينية المعروفة في مصر بالأزهر الشريف –أحد أهم قلاع المذهب السني في العالم الإسلامي– أنشئ الأزهر فيما بين عامي (٣٥٩هـ-٣٦١هـ) (٩٧٠م-٩٧٢م)، ويربو تاريخه على ألف عام كجامع وجامعة لتدريس المذاهب الفقهية وعلوم الدين واللغة والتاريخ والفلسفة وغيرها، ولا شك أن مكانة الخطاب –محل الدراسة– تأخذ في الحسبان من بين ظروف الخطاب الخارجية هذه المكانة المهمة للأزهر؛ فخطاب شيخ الأزهر خطاب للأزهر وتوجهاته، فلا ينظر إلى الخطاب بمعزل عن توجه المؤسسة كاملة.

---

* هو الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد أحمد الطيب، ولد بقرية القرنة التابعة لمدينة الأقصر في ٣ من صفر من عام ١٣٦٥هـ الموافق ٦ من يناير عام ١٩٤٦م، نشأ ببلدته ثم تعلم في الأزهر؛ حفظ القرآنَ وقرأ المتون العلميَّةَ على الطريقة الأزهرية الأصيلة، ثم التحَقَ بشُعبة العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بالقاهرة حتى تخرَّج فيها بتفوق عام ١٩٦٩م، حصل على الليسانس – شعبة العقيدة والفلسفة –الأزهر– عام ١٩٦٩م، وعلى درجة الماجستير عام ١٩٧١م، كما حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٧٧م من الشعبة نفسها، عُيِّن بدرجة أستاذ بالكلية في ١٩٨٨/١/٦م، سافر إلى فرنسا لمدة ستة أشهر في مهمة علميَّة إلى جامعة باريس من ديسمبر عام ١٩٧٧م إلى عام ١٩٧٨م، و يُجيد اللغةَ الفرنسية إجادةً تامَّةً، ويترجم منها إلى اللغة العربية، أسس الرابطة العالمية لخريجي الأزهر ورأس المؤتمرات الدولية التي عقدتها، عمل بعدد من الجامعات العربية والإسلامية خارج الأزهر؛ وهي: جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، والجامعة الإسلامية العالمية –إسلام آباد– باكستان وجامعات أخرى، شارك في العديد من المؤتمرات واللقاءات الإسلامية، ونال العديد من الأوسمة والتكريم من دول وملوك وجامعات عربية وإسلامية، له العديد من المؤلفات والبحوث والترجمة منها؛ الجانب النقدي في فلسفة أبي البركات البغدادي،ومباحث الوجود والماهيَّة من كتاب المواقف– عرض ودراسة، القاهرة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ترجم العديد من المؤلفات منها؛
Osman Yahya, Histoire et classification de l'oeuvre d'Ibn Arabi من الفرنسية إلى العربية بعنوان: مؤلفات ابن عربي تاريخها وتصنيفها، القاهرة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
تقلد منصب الإفتاء يوم الأحد ١٠/ ٣/ ٢٠٠٢م، فقد صدر قرارًا بتعيينه مفتيًا للديار المصرية، وتولَّى الإفتاء وعمره ٥٦ عامًا، وظلَّ في هذا المنصب حتى ٢٠٠٣/٩/٢٧م حيث صدر قرارٌ بتعيينه رئيسًا لجامعة الأزهر الشريف، وقد أصدر خلالَ فترة تولِّيه الإفتاء حوالي (٢٨٣٥) فتوى مسجَّلة بسجلات دار الإفتاء المصرية، وفي يوم الجمعة ٣/١٩/ ٢٠١٠م، صدر القرار رقم ٦٢ لعام ٢٠١٠م بتعيينه شيخًا للأزهر الشريف خلَفًا للإمام الراحل الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي، وما زال قائمًا بمهامِّ منصبه كشيخٍ للأزهر الشريف حتى الآن..."
راجع السيرة الذاتية في بوابة الأزهر، تحت عنوان: شيخ الأزهر، فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد أحمد الطيب. http://www.azhar.eg/m-alazhar/sheikh-alazhar

وتتسم طريقة إلقاء شيخ الأزهر بسمة القراءة الشفهية من خطاب مكتوب لا يخرج عن الخطاب وما كتب فيه طول مدة مكث الخطاب؛ لكنه يتواصل مع الجمهور بالنظر إليهم بين الفينة والأخرى حتى لا يفقد الخطاب خصيصة التواصل البصري التي تميز بها شيخ الأزهر عبر كل الخطابات التي ألقاها من قبل، فسمة كل خطاباته القراءة من أوراق مع مرونة التواصل البصري وحركات الجسد ونغمة الصوت والوقفات في مواضع معينة.

المُستقبِل: هو الذي يتلقى الخطاب سواء كان مكتوبا أو شفويا، وهو محل عناية المرسِل واهتمامه، والمتلقي له أحوال كما بينتها البلاغة العربية، فجعلت لإلقاء الخبر عليه ثلاثة أضرب: إما أن يلاقي مخَاطَبا خالي الذهن يقبل ما يلقَى عليه، أو يلاقي مخاطَبا مترددا بين القبول والرفض، أو يلاقي مخاطَبا منكرا للخبر فيؤكد له الجملة؛ ولكن الواضح أن اختلاف درجات الاستقبال عند المتلقي لا يعني أنه خالٍ للذهن في كل أحواله؛ لأن "المستمع حين يواجِه خطابا ما لا يواجهه وهو خالي الوفاض وإنما يستعين بتجاربه السابقة، بمعنى أنه لا يواجهه وهو خالي الذهن، فالمعروف أن معالجته للنص المعاين تعتمد ضمن ما تعتمده، على ما تراكم لديه من معارف سابقة تجمعت لديه كقارئ متمرس قادر على الاحتفاظ بالخطوط العريضة للنصوص (والتجارب) السابق له قراءتها ومعالجتها"[1]، وقبوله لهذا الخطاب أو ذاك يعود إلى معارفه وخبراته، فإذا كانت خبراته بالخطاب قليلة اعتمد على ثقته في مرسِله، والمستقبل هنا لهذا الخطاب هم أربع فئات: أولها: البابا فرنسيس بابا الفاتيكان، وثانيها: المسيحيون، ورجال الدين المسيحي من الشرق والغرب، وثالثها: المسلمون، ورجال الدين الإسلامي، ورابعها كل من يتابع الخطاب حول العالم سواء كان مباشرا أو مسجلا عبر تقنية الفيديو والصوت.

الرسالة: وهي مجموعة معان وألفاظ وكلمات تكوِّن تراكيبا وجملا وعبارات تحمل دلالات ورموزا لتكون خطابا يتفق مع المقام والمتلقي، كما أنها "المضمون أو الفكرة التي يرسلها المرسل إلى متلق، وتتم من خلال الكلمة المكتوبة أو المنطوقة أو من خلال الإشارة أو علامة (شفرة) تتضمن المعنى المقصود من الرسالة الاتصالية... وتمثل القدر المشترك بين المرسل والمستقبل فتسهل عملية الاتصال، وتشعر المستقبل

[1] لسانيات النص، محمد خطابي، ص٦١.

بالدفء، والانتماء لصاحب الرسالة، فهي وسيلة تفاهم مشتركة"[1]، وهذا التفاهم بين المرسل والمستقبل هو الذي يحقق قدرا من نجاح الرسالة خاصة إذا كانت الرسالة حجاجية، والرسالة هنا ألقيت باللغة العربية لغة التحدث للعرب، ونقلت مترجمة إلى البابا فرنسيس بابا الفاتيكان والحضور من غير العرب، فحواها البحث عن السلام لكل شعوب العالم، ونفي تهمة العنف والإرهاب عن الإسلام، والرجوع إلى الأديان ومناهجها السليمة بدلا من الهرولة خلف الفلسفات والنظريات الحديثة التي أثبتت فشلها في حل مشاكل المجتمعات، وأخيرا دعوة الأزهر إلى التعاون من أجل حل هذه المشكلات.

الزمان: ألقي الخطاب في الساعة السادسة مساء يوم ٢٨ إبريل ٢٠١٧م، **والمكان:** مكان إقامة مؤتمر الأزهر العالمي للسلام في مركز الأزهر للمؤتمرات بمدينة نصر، محافظة القاهرة.

توصيف الخطاب

جاء خطاب شيخ الأزهر محل الدراسة يوم ٢٨ إبريل ٢٠١٧م في المؤتمر العالمي للسلام الذي أقامه الأزهر الشريف في الفترة (٢٧، ٢٨ أبريل ٢٠١٧م)، واستمر الخطاب حوالي ١٠ دقائق و٣٠ ثانية حسب تقنية الفيديو(التسجيل)، وورد فيما يقرب من ٨٧٩ كلمة، أي بمعدل٨٦ كلمة في الدقيقة وهو معدل وسط ليس بطيئا ولا سريعا، وإنما يتلاءم مع الموقف وظروفه، وجاء الخطاب موجزا معبرا عن الواقع، ركز فيه على قضية نسبة الإرهاب إلى الأديان، وبخاصة الدين الإسلامي الحنيف مبينا أن ما ينسب إلى الأديان من فهوم مغلوطة يؤجج الصراع بين الأديان والحضارات وهو مبعث العنف والكراهية، كما دعا خلال خطابه إلى نبذ التطرف والإرهاب بجميع صوره وأشكاله والتكاتف من أجل ذلك، وألا تحاكم الأديان من أجل قلة عابثة من هذا الدين أو ذاك، كما أكد فيه على منهج الأزهر في دعم وترسيخ قيم العيش المشترك واحترام جميع العقائد، ونشر ثقافة الحوار، والوقوف أمام سياسات الهيمنة وصراع الحضارات والحداثة اللادينية وما ينتج عنها من مآس وكوارث، وختم الخطاب بأمله في أن يكون اللقاء من أجل مستقبل أفضل تتعاون فيه الأديان والحضارات على نشر ثقافة السلام.

[1] لغة الخطاب السياسي ، محمود عكاشة، ص٢٤.

وهذا الخطاب يعد خطابا سياسيا توجه به إلى أكثر من فئة ومتلق حول العالم؛ يدور حول السلام العالمي، ولا يعد خطابا دينيا خاصا بالمسلمين؛ لأن أفكاره جميعها تتلاقى مع أفكار الديانات والحضارات واللادينيين؛ فهو خطاب يعبر عن فطرة الإنسان الذي يرفض التطرف والعنف بطبيعته، ولا ينصِّب من نفسه حكما يحكم بصواب هذا أو خطئه.

وقد جاءت الدراسة في عدد من النقاط التي توقفت عند الظواهر التي اعتمد عليها الخطاب؛ كالإشاريات في الخطاب وهي كثيرة، كما توقفت الدراسة عند الحذف وتعني به ما سكت عنه الخطاب ولم يصرح به من قضايا تُفهم من سياق الكلام، كما تعرض لبيان الظواهر البلاغية والبنى الأسلوبية واللغوية في الخطاب، وعرض لدور التناص والاستشهاد، كما عرض للحجاج في الخطاب؛ روابطه وعوامله، والقياس الحجاجي، والسلم الحجاجي، وأخيرا علاقة المتلقي بالملقي من خلال آلية التصفيق؛ وجاءت التفصيلات على النحو الآتي:

أولا: الإشاريات ودورها في الخطاب

وسيلة سيميائية من وسائل تحليل الخطاب وتحديد وجهته ومقاصده، وآلية مهمة من آليات بنائه تفرض نفسها من خلال كثرتها وتنوع أغراضها بل يُتوصل من خلالها إلى بعض خفايا النص وثقافة مرسله وأيديولوجيته، و"في كل لغة عدد محدود من الكلمات التي يعتمد جزء من معناها على الموقف الذي تستخدم فيه، أي على المتكلم والمخاطب والمكان والزمان الذي حدث فيه القول، هذه الكلمات تدعى الكلمات الإشارية لأنها تنطوي على نوع من الإشارة، ويمكن أن ندعوها الكلمات الموقفية؛ لأن معناها يعتمد على الموقف الذي تستخدم فيه"[1]، كالإشارة إلى ضمائر أو أعلام أو ديانات أو حضارات أو أماكن كل هذه الأشياء لها دلالاتها في اختيار المرسل لتوافق سياق الخطاب وقبول المتلقين، وقد جاء خطاب شيخ الأزهر في سياق مؤتمر الأزهر المعنون بالمؤتمر العالمي للسلام، فالسلام كلمة المفتاحية وعليها دوران العملية التواصلية، ولها شبكة من العلاقات والتشكيلات الخطابية التي تتفق مع المصطلح، وكلمتا: (السلام، العالمي) الموجودتان في عنوان المؤتمر لا تشيران إلى السلام مع النفس –أي الإسلام– وإنما تشير إلى العلاقات بين الأديان والحضارات.

[1] علم الدلالة (علم المعنى)، د. محمد علي الخولي، ص٥١، ٥٢.

وقد جاء الخطاب موجزا وكان لإيجازه وقِصره دور في تكثيف المصطلحات وآليات اختيارها بما يتناسب مع المقام دون زيادة، بل يكتفي بالإشارة إلى الشيء دون الغوص في تفاصيله الداخلية، وبخاصة أن المخاطَبين من المثقفين دينيا من آباء الكنائس الشرقية والغربية وعلى رأسهم البابا فرنسيس بابا الفاتيكان.

وتبين الإشاريات في الخطاب مقصود الخطاب وعلاقات الجمل بعضها ببعض، ويُظهر تكرار ضمائر المتكلم أو الغائب أو الحاضر مستوى القضية وقيمتها، فقد كرر شيخ الأزهر ضمير المتكلم بطرق مختلفة مرة يعتمد على المفرد؛ فيقول: **(أعتقد – وفي اعتقادي–أتوجه)** وهي من الخطاب الإخباري التقريري، وفي هذه الحالة قد يعيد الأمر إلى شخصه وخبراته وتجاربه ومعارفه كعالم ومثقف متحملا تبعات هذا الاعتقاد دون نسبة هذا الأمر إلى الأزهر كمؤسسة أو الأخرى بأن يعيد هذه الألفاظ إلى شخص شيخ الأزهر، وأن هذا من فكر المؤسسة كاملة، وقد كان وقع مجيء هذه الألفاظ مفردة أحظى بالقبول عند السامع؛ لأن في جمعها تفخيما للذات وهو ما لا يقبله المتلقي، فالدعوة في الأساس قائمة على المودة والتشارك لا الإملاء والتعالي.

وفي اختيارات ضمير المتكلم (جمعا) يبدو توجيه الضمير حسب غرض الجملة وكثيرا ما يكون المقصود من توجيهه مؤسسة الأزهر وجميع الحضور على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم كنوع من التشارك في الخطاب والتسليم ببديهيات الفكرة وألَّا تعارض مع هذا الطرح في كل الأديان والحضارات؛ فمثلا يقول عن المآسي التي يتعرض لها الضعفاء:**(لا نعدو الحقيقة لو قلنا: إنَّ التّاريخَ لَمْ يَعْرِف لها مَثيلًا مِن قَبلُ)**، وعند ذكر المهاجرين ومن يعانون ويلات الحرب والدمار من المسلمين والمسيحيين وغيرهم من الأفارقة الذين يموتون غرقا على شواطئ البحار كل لحظة، يقول: **(هذه المآسي التي كُتِبَ عَلَينا أن ندفعَ ثمنَها الفادِحَ من أرواحِنا ودمائِنَا)**، ويقول في آخر الخطاب أيضا: **(فلنسع، ولنعمل، ولنقف)**، والسعي في نصرة المستضعفين والجائعين...، والعمل على استنقاذ كيان الأسرة...، والوقوف معا ضد الدعوات الهادمة للسلام؛ كسياسات الهيمنة وصراع الحضارات...، ويقول: **(وأنْ يَجْعَلَ منه –أي المؤتمر– خطوةً حقيقيةً نتعاونُ فيها جميعًا على نَشْرِ ثقافَة السَّلام)**، فالتعاون من أجل البشرية تتشارك فيه كل الأديان والحضارات لرفع الظلم عن الإنسان، وجميع ضمائر الجمع تعود على الحضور جميعا

وإن بدا من بعضها أحيانا التباس عودتها إلى الأزهر إلا أنه بعد التدقيق فيها يتبين عودة الضمير الحضور جميعا، وهو أمر يسهم في بناء هذا الخطاب التعاوني.

كما تجري الإشارة إلى المخاطب من خلال بعض الألفاظ التي ختمها بكاف الخطاب، وقد ظهرت في أول الخطاب عند الترحيب؛ نحو: **(لحضراتِكم، لاستجابتكم، وزيارتِكم)** ثم في آخر الخطاب عند التقريظ للبابا فرنسيس؛ يقول: **(وإنّا لنقدِّرُ لكم – حضرة البابا– تصريحاتِكُم المُنصفَةَ، التى تدفعُ عن الإسلام والمسلمين تُهمَةَ العُنف والإرهاب، وقد لمسنا فيكم...)**، وبين أول الخطاب وآخره سرد لأحداث ووقائع الخطاب التي يريد توصيلها إلى المخاطب دون العناية بتوجيه هذه الأحداث إليه بل على طريقة العرض غير المباشر، وهذه الطريقة يبدو من انتهاجها إظهار المخاطب في موقع المسلِّم بكل المعلومات والحقائق الواردة في الخطاب، وقد جاء التناسب المعنوي واللفظي واضحا في استخدام ضمير المتكلم جمعا وكذلك ضمير المخاطب جمعا، وله قيمته في اتزان الخطاب.

وفي إشارة إلى المضيف ظهر الأزهر الشريف في أول الخطاب مرحبا بالضيوف، يقول: **(وتحيّةً خالصَةً مِن الأزْهَرِ الشّريف ومن مجلسِ حُكَمَاء المسلمين لحضراتِكم)**، وختم الخطاب به؛ لإقراره وإيمانه بالنصوص الواردة في الخطاب؛ فجاء بمثابة توقيع على الوثيقة المبرمة عن السلام من قوله: **(هذَا، ولا يَزالُ الأزهرُ يسعى من أجلِ التعاون...)** مستخدما الفعل المضارع الدال على الاستمرارية وتجدد العهد، ويؤدي الفعل هنا دور الربط بين الماضي والحال، مما يبين عدم التناقض بين دعوات الماضي والآن.

كما تبين الإشارة إلى الأماكن مدى رحابة الخطاب واتساعه أو ضيقه حسب رغبات المتكلم والسياق الوارد فيه الخطاب؛ فنظرا لطبيعة الخطاب العالمية، ذكرت الأرض ثلاث مرات؛ في قوله: **(أنّ الأرضَ الآن أصبحت مُمَهّدة)**، **(والمُعذّبين فى الأرضِ)**، **(واستنقاذِ البيئة من الفَسَادِ والمُفْسِدِينَ في الأرض)** مما يؤكد عالمية الخطاب ورحابته، فليس مقصورا على فئة من البشر دون أخرى، يقول: **(واحترامِ الإنسان أيًّا كان دينُه ولَونُه وعِرقُه ولغتُه)**.

كما ورد ذكر السماء مرة مضافة إلى الرسالات التي جاءت بها الرسل في قوله: **(ولا حلّ فيما يُؤكِّدُ عُقلاءُ المُفَــكِّرين فى الغَربِ والشّرقِ إلّا فى إعادةِ الوعى**

برسالاتِ السَّماء)، وأن الأصل في تمسك الناس جميعا برسالات السماء؛ لأنها أقصر الطرق إلى حل مشكلات الأرض وقضاياها المعقدة.

وذكر أماكن محددة؛ منها: مصر بوصفها موضع انعقاد المؤتمر والداعية إلى نشر ثقافة السلام، ولها تجارب حقيقية في هذا متمثلة في معاهدة السلام مع إسرائيل ٣/٢٦/ ١٩٧٩م، وهنا يبرهن على مد يد السلام للعالم عبر القول والفعل، وعلى جميع الأطراف الالتزام به، فلا ندعو طرف إلى الالتزام به فيما يبقى الآخر في حِل منه، كما ذكر فلسطين في سياق الصراع حول الأرض، وخطاب الأزهر دائم التذكير بتلك القضية في كل محفل وعلى كل الأصعدة، وفي هذا الخطاب كان حضور فلسطين مهما، وهو يتحدث عن صراع على مرمى حجر من مؤتمره، في تعريض واضح إلى ضرورة السعي من أجل حل النزاع القائم هناك، كما ذكر مدن هيروشيما ونجازاكي في سياق التذكير بأفعال الولايات المتحدة الأمريكية هناك، وأنه إذا نُسب الإرهاب إلى الإسلام زورا؛ فالأولى أن ينسب إلى هذه الحضارات المزعومة.

كما ذكر الديانات الثلاثة الإسلام والمسيحية واليهودية، والحضارتين الأوربية والأمريكية في إشارة إلى أهم الديانات مع كثرة أتباعها، وأبرز الحضارات الباقية الحاضرة في المشهد الآن؛ لإسقاط ما يريد إسقاطه من حجاج على المتلقي في نسبة الإرهاب إلى فئة دون أخرى مع التساوي في شذوذ طوائف من كل فئة.

وذكر الخطاب أيضا فترات تاريخية وأزمنة معينة دارت فيها أحداث يشترك المرسل والمتلقي في استحضار دلالاتها؛ كالحروب الصليبية والصورة الذهنية لما خلفته من دمار وقتلى، والأفكار الهدامة في الحضارة الحديثة، وعجز العصر الحديث، والقرن الواحد والعشرين عن حل مشكلات المجتمعات، وذكر كلمات يعتمد ذكرها على الإشارة إلى زمان القول ككلمة: (الآن) التي كررت ثلاث مرات، وهي لتحديد وقت وقوع الحدث الكلامي، في قوله: **(كيف أصبحَ السَّلامُ العالمى الآن وسط كل هذه الإنجازات هو الفردوس المفقُود؟)**، **(أنّ الأرضَ الآن أصبحت مُمَهِّدة لأن تأخذ الأديان دورها)**، **(كما هو مفتوحٌ على الإسلام الآن)**، و كلمتا: صباح مساء على طريقة الإتباع عند ذكر القرآن الكريم، للإشارة إلى تعاهد تلاوته وكثرتها، ولذلك فلكل زمن دلالة ومغزى حسب وروده.

كما استخدم الخطاب أدوات الإشارة؛ ومنها: الأداة (هذا) في عدة مواضع، وبخاصة بعد انتهاء الجانب الأول من الخطاب الذي عرض فيه للقضايا التي أراد عرضها على المتلقين، ثم اتجه إلى بيان منهج الأزهر ودعوته إلى المشاركة في كل عمل يخدم الإنسانية؛ يقول: **(هذَا، ولا يَزالُ الأزهرُ يسعى من أجلِ التعاون)**، وتقوم هذا هنا بالربط بين أجزاء الخطاب.

وأشار الخطاب إلى أعلام حاضرة كمخاطبين وأخرى للاستشهاد بها وبأحوالها، فذكر فرنسيس بابا الفاتيكان كمخاطَب مع آباء الكنائس، وفي سياق الحديث عن اليهود ذكر انصرافهم عن تعاليم موسى (عليه السلام)، وفيه استدعاء للماضي مع تعظيم دور المستدعى وما يمثله من قيمة دينية، وبخاصة عند التعريض برسالته التي حاد عنها أتباعها، وفي ذكر الخطاب لإشاريات معينة، ودورانه حول ألفاظ مفتاحية يؤذن بتكريس اتجاه الخطاب وحشده نحو الغرض الأسمى للموضوع وتجنيد ذلك كله لنجاح الخطاب، وفيه تمثيل للأنا والآخر بوضوح يسهم في بيان مدى العلاقة بين المتكلم والمتلقي.

ثانيا: الحذف أو النص الموازي (المسكوت عنه في خطاب شيخ الأزهر)

تعتمد فكرة الحذف من النص أو السكوت عن بعض التفصيلات لأسباب متعددة استدعاء مصطلح المقصدية الذي هو شركة بين المرسل والمستقبل في تأويل النص؛ "لأن المقصدية تشمل المخاطِب والمخاطَب، لكنهما قد تتفقان وقد تختلفان، ولعل ما قد يكون سببا في هذا الاختلاف هو بروز مقصدية ثالثة، هي مقصدية النص أو بالأحرى لغة النص التي قد تتجاوز مقاصد صانع النص نفسه"[1]، وهذا التجاوز هو ما يجعل المتلقي يملأ فراغات الخطاب وما كان من الممكن أن يقال وسكت عنه المرسل.

والحذف لا يقتصر على حذف مفردات ولا تراكيب ولا جمل فقد يكون الحذف صمتا عن ذكر وقائع كاملة، وتبقى حكمة تقدير المحذوف من خلال المعطيات التي منحها الخطاب لمستقبله، "ويصبح الاستشفاف سهلا باشتمال التركيب السابق على شواغل المواقع، وذلك حتى أن القارئ ليتوقع أن يضيف معلومات جديدة بناء على شاغل الموقع، وإن التركيب الذي يسبق الكلام يمكن أن يمدنا بكميات متفاوتة من المادة

[1] البلاغة وتحليل الخطاب، حسين خالفي، ص١٨٥.

التي تملأ الفجوات"[1]، فالاعتماد على داخل الخطاب في فهم المسكوت عنه من الخطاب أمر تبينه طبيعة الصياغة مع علاقة ذلك بالبيئة الخارجية للخطاب ومنابعه، وتستخدم آلية النص الموازي كآلية ناجعة "للغوص في لاشعور النص، من أجل كشف المسكوت عنه من الإشكالات الأيديولوجية، وأنساق التمثيل، وكل ما يمكن تجريده من النص، واعتبر في مراحل سابقة خارج النص، وغير مسموح له بالدخول"[2]، وهي طريقة يقظة لذهن المتلقي، وتبين الاتصال التام بالمرسل واستقبال ما بين السطور استقبال المنطوق.

ونظرا لأن خطاب الأزهر شديد الحساسية ومحط أنظار العالم من المتربصين به أو المؤيدين له نراه لا يذكر كل تفاصيل القضايا بل يمر عليها مرورا، فيذكر أشياء ويحذف أخرى معتمدا على قدرة القارئ أو السامع في ملء الفرغات وسد الفجوات، بهذه النماذج التي سكت عنها الخطاب لكنه عرَّض بها تعريضا أقرب إلى التصريح؛ ومنها: الصراعات في المنطقة العربية، والمفارقة الشاسعة بين أقوال أعضاء مجلس الأمن وأفعالهم، والسخرية من الحضارات المزيفة ومهاجمة الفلسفات والنظريات الحديثة التي ترى من نفسها بديلا للأديان وإثبات فشلها في إسعاد الإنسان وتقليل همومه ومشكلاته، ثم يرى العلمانية سبب مشكلات العالم، ويعرِّض بالحركات الجهادية المنسوبة إلى الإسلام، وتفصيل ذلك في النقاط التالية:

١-الصراعات في المنطقة العربية

لم يتطرق الخطاب لوجازته وقصره إلى أمور كثيرة وحروب متنوعة المقاصد والأغراض شهدها العالم عامة والمنطقة العربية، وبخاصة من فترة ٢٠١١م وحتى ٢٠١٧م، هذه الفترة التي شهدت صراعات جديدة في دول شتى؛ كسوريا والعراق واليمن وليبيا وغيرهم، واستمرار صراعات قديمة؛ كالصراع في فلسطين وبورما والسودان والصومال ونيجيريا وغيرهم، فيقول معرِّضا بهذه الصراعات في سياق الدعوة إلى السلام، **(هَذَا السَّلام الضَّائع الذي تبحث عنه شعوبٌ وبلاد وبؤساءُ ومرضى، وهائمون على وجوههم في الصحراء، وفارُّون من أوطانهم...)**، فالصراع في سوريا مثلا يدور بين أمم كثيرة، مختلفة الأعراق واللغات، كل يبحث عن مصالحه

[1] النص والخطاب والإجراء، ص٣٤٢.

[2] حكومة البلاغة دراسة في النقد الثقافي، خضر محجز، ص٣١.

وأهوائه، وقد سكت الخطاب عن ذكر الصراع الدائر هناك أو حتى الإشارة إليه إشارة واضحة، وإنما فهم القصد إليه من ذكر الدمار.

٢-المفارقة بين أقوال أعضاء مجلس الأمن وأفعالهم.

يتكون مجلس الأمن من خمس دول أساسية كأعضاء دائمين لهم حق الفيتو – الاعتراض على القرارات– فعضويتها هذه تجعلها توقف القرارات التي ربما تنفع البشرية لكن تعطل مصالحها، وهي المنوط بها حفظ الأمن في العالم، وفي الوقت نفسه هي من تصنع السلاح وتبيعه؛ فتجارة السلاح هي التجارة الرائجة لهم، وهنا يسكت الخطاب عن ذكر هذه الدول وتسميتها للمتلقي معرِّضا بدورها في تأجيج الصراع وتأزم عملية السلام، حيث يفهم من قوله عن السبب في كثرة الكوارث: **(تِجَارَةُ السِّلاح وتَسْوِيقُه، وضمانُ تشغيل مصانع المَوت، والإثراء الفَاحِش من صفقات مُريبة، تسبقها قَرارَاتٌ دوليّةٌ طائشة)**، كل هذه الأمور دون ذكر لمن يروج له ويبيعه ويصنعه.

٣-السخرية من الحضارات المزيفة ومهاجمة الفلسفات والنظريات الحديثة التي ترى من نفسها بديلا للأديان وإثبات فشلها في إسعاد الإنسان وتقليل همومه ومشكلاته.

بدا الخطاب هادئا في إلقائه عنيفا في اختيار ألفاظه اللغوية من خلال الهجوم على الحضارات التي لا تؤمن بما تقول ويشوبها التناقض؛ فالمنجزات الكلامية – القولية– أكبر بكثير من الملموسات العملية –الفعلية– فمع كثرة المؤسسات التي تدعو إلى السلام وحقوق الإنسان، ومجالس الأمن، وتجريم استخدام القوة، والمذاهب الفلسفية التي تخدم هذه الأفكار؛ كالتبشير بالمساواة ومجتمع الطبقة الواحدة وما إلى ذلك، يصبح هذا الأمر ضربا من المحظور إذا خالفت هذه الدعوات مصالحها ومست مقدراتها؛ فيتحول القانون الدولي إلى أداة طيعة في يد من يطبقه، فيكيل بمكيالين في وقت واحد، والسبب اتباع الهوى لا النصوص الإلهية ولا القوانين الوضعية السليمة الصارمة التي هي مشتقة من روح هذه النصوص، وبخاصة أن هذه الدول قد نجحت في تطبيق قوانين صارمة على المواطنين في بلادها؛ فسادت العدالة والمساواة ورفع الظلم عن كثير من الضعفاء، هذه الدول هي نفسها التي تنتهك حرية الآخرين وتبيع السلاح ليقتل شخص بريء.

كما هاجم الفلسفات التجريبية والنظريات الفكرية والاجتماعية التي تدعو إلى اتباعها بدلا من الأديان في الوقت الذي تتناقض هي في مكوناتها وتكوينها الداخلي، ولم تقدم شيئا ذا بال.

٤-العلمانية سبب مشكلات العالم.

من الأمور التي سكت الخطاب عن ذكرها صراحة هي العلمانية التي نبذت الأديان وراء ظهرها ودعت إلى الاحتكام إلى أفكار البشر في حل مشاكلهم دون الرجوع إلى النصوص الإلهية، وحبست الأديان داخل المباني في المساجد والكنائس والمعابد، وهي السبب في تفجير قضايا الإلحاد واللادينية ونظريات تأليه الإنسان التي لم تخل من السقوط فيه أمة من الأمم، يقول معرضا بهذا الأمر في دعوة إلى **(إعادة الوعى برسالات السَّماء، وإخضاع الخطاب الحَدَاثى المُنحَرِف لقِراءة نقديَّة عَميقة تنتشل العقل الإنسانى مما أصابه من فقر الفلسفة التجريبية وخُوائها، وجموحِ العقلِ الفردى المُستبد وهيمنَتِه على حياة الأفراد)**، والمتأمل للخطاب يرى هدمه لكل هذه الدعوات الهدامة التي أضرت بالمجتمعات، وضاعفت مشكلات الإنسان بدلا من حلها.

٤-الحركات الجهادية المنسوبة إلى الإسلام.

صمت الخطاب عن ذكر الحركات الجهادية والفرق التي فهمت الدين الإسلامي فهما يتفق مع هيكلة بنائها فلم يسمِّها بأسمائها؛ كداعش وغيرها واكتفى بالتلميح بها معتمدا على فهم المتلقى وثقافته في قراءة الواقع المحيط؛ يقول: **(وألّا نُحاكِم الأديان بجرائمِ قِلّة عابثة من المؤمنين بهذا الدِّين أو ذاك، فلَيْسَ الإسلام دين إرهاب بسبب أن طائفة من المؤمنين به سارعوا لاختطاف بعض نصوصه وأولوها تأويلًا فاسدًا، ثم راحوا يسفكون بها الدماء ويقتلون الأبرياء ويروعون الآمنين، ويجدون مَن يمدهم بالمال والسلاح والتدريب..)**، كما صمت عن أمر آخر مهم وهو رحيل الاستعمار مع بقاء عملائه بالوكالة من هذه الفرق وغيرها حيث يمدها بالسلاح والتدريب لخدمة مصالحه ونهب خيرات المنطقة التي يريد الاستيلاء على مقدراتها.

ثالثا: تنظيم الخطاب والتناسب بين فقره وأجزائه

جاء الخطاب متسلسلا تسلسلا منطقيا يأخذ فيه الكلام بعضه برقاب بعض، ويضع كل جملة في موضعها الملائم، وساعد على ذلك قصر الخطاب وتكثيفه مع وجود غرض رئيس وأغراض فرعية تخدم المقصد الأساسي، ويتضح من الخطاب

تقسيمه إلى مقدمة وصلب وخاتمة، ويبدو الترابط الدلالي في الخطاب من خلال عرض فقراته وتقسيماته وما بينها من علاقات طبيعية ليس فيها نفور أو شذوذ، وجاءت العلاقات الدلالية بين الفقرات على النحو الآتي:

بدأ الخطاب في الفقرة الأولى بتحية الحاضرين وعلى رأسهم البابا فرنسيس بابا الفاتيكان وآباء الكنائس تحية من الأزهر الشريف ومجلس حكماء المسلمين، وهنا ينوب شيخ الأزهر عنهما لرئاسته لهما، ثم عرض للسلام الضائع، يقول: **(هذا السلام الضائع الذى تبحث عنه شعوبٌ وبلاد وبؤساءُ ومرضى، وهائمون على وجوههم فى الصحراء، وفارُّون من أوطانهم إلى أوطانٍ أخرى نائية لا يدرون أيبلُغُونها أم يَحُولُ بينها وبينهم المَوتُ والهَلاكُ والغَرَقُ والأشلاءُ والجُثَثُ المُلقَاةُ على شواطئ البِحار)**، وبدا التناسب بين البدء والختام في العودة إلى ذكر هؤلاء في دعوة الأزهر إلى احتواء أزماتهم، يقول: **(فلْنَسْعَ معًا من أجلِ المُستضعَفِين والجائِعين والخائفين والأسرى والمُعذّبين فى الأرضِ دون فرزٍ ولا تصنيفٍ ولا تمييز)**.

وفي الفقرة الثانية تطرق إلى أسباب هذا الدمار ومعاناة المظلومين والضعفاء، مشفوعة بالدليل والبرهان المتمثل في تجارة السلاح، يقول: **(هذه الكوارثَ التى أناخت مطاياها بساحاتِ الفُقَرَاء واليتامى والأرامل والمُسنِّين، اللّهُمَّ إلّا سَبَبًا يَبدو معقولًا ومقبولًا، وهو تِجَارَةُ السِّلاح وتَسْوِيقُه)**، فقدم في هذه الفقرة توصيفا واضحا لأسباب الكوارث التي تقف حائلا ضد السلام المنشود.

وفي الفقرة الثالثة يسخر من حدوث ذلك في القرن الواحد والعشرين قرن التحضر والرقي، وأنه عصر القانون بلا منازع وظهور النظريات والفلسفات التي لم يشهدها العالم من قبل في العلوم التقنية والإنسانية.

وفي الفقرة الرابعة يتساءل: **(كيف أصبحَ السّلامُ العالمى الآن وسط كل هذه الإنجازات هو الفردوس المفقُود؟ وكيفَ شَهِدَ عصر حُقُوق الإنسان من الأعمال الهَمَجِيّة ما لم يَشْهَدَه عصرٌ مِن قَبلُ؟)** ويجيب هو مستخدما أسلوب التشارك مع المتلقي في الجواب، والسبب يكمن في **(تجاهل الحضارة الحديثة للأديان)**، مبينا أن هذا التقدم والنظريات والمنجزات الاجتماعية والفلسفية وقفوا جميعا عاجزين عن حل مشكلات العالم، وفي هذه الفقرة يبدأ في طرح الأديان كأصل انحرف عنه فرع، إلا أن

الفرع لم يستطع تحمل المسئولية وفشل في ذلك؛ ذاكرا ما في الأديان من أمور يصعُب تجاوزها وهو موضوعيتها وعدالتها وقيمها المقبولة عند جميع البشر.

وفي الفقرة الخامسة يحصر الحل في رأي المفكرين من الغرب والشرق في تأكيدهم على إعادة الوعي برسالات السماء مثبتا هذه القضية، ومنكرا الأخرى وهي عدم قدرة الحداثة والفلسفات التجريبية على حل مشكلات الإنسان.

وفي الفقرة السادسة يخرج بنتيجة بعد الفقرتين السابقتين بأنه لا يمكن بعد هذا التسلسل المنطقي إنكار دور الأديان في تسلم القيادة في سياسة البشرية، ومن بين هذه الأديان الإسلام بكتابه المنزل على رسوله وهو القرآن الذي يحث في نصوصه على تفضيل ما فضَّل الله وهو الإنسان، وكذلك يدعو القرآن الناس إلى التعارف والتراحم.

وفي الفقرة السابعة مناورة خطابية، يقول: **(ولكن قبلَ ذلك يلزمنا العمل على تنقية صُورة الأديان ممَّا عَلِقَ بها من فهومٍ مغلوطة، وتطبيقاتٍ مغشوشة وتديُّنٍ كاذب يُؤجِّجُ الصِّراعَ ويبث الكراهية ويبعث على العُنف.. وألّا نُحاكِم الأديانَ بجرائمِ قِلّةٍ عابثةٍ من المؤمنين بهذا الدِّين أو ذاك)**، قال ذلك بعدما عرض أفكاره ورؤية الأزهر في دور الأديان؛ ليعود ويجيب عن سؤال مثار في ذهن المتلقي، كيف يكون لهذه الأديان وخاصة الإسلام هذا الدور الكبير وهو دين إرهاب؛ فيرد قائلا: **(فلَيْسَ الإسلام دين إرهاب بسبب أن طائفة من المؤمنين به سارعوا لاختطاف بعض نصوصه وأولوها تأويلًا فاسدًا، ثم راحوا يسفكون بها الدماء ويقتلون الأبرياء ويروعون الآمنين، ويجدون مَن يمدهم بالمال والسلاح والتدريب)**، كما فعل ذلك مع الديانات الأخرى والحضارات القائمة مشيرا إلى أن مناهج الأديان بريئة من طيش أفهام الأفراد.

ثم في الفقرات الثلاثة الأخيرة بدا الاستعداد لختام الخطاب، فشكر البابا فرنسيس بابا الفاتيكان وآباء الكنائس الغربية والشرقية وثمَّن دورهم في الدفاع عن الإسلام والمسلمين ضد تهمة الإرهاب الباطلة، وفيه نوع من استمالة قلوبهم فالنفس أميل إلى الاستئناس بالمديح، "فبواسطة تقريظ المتكلم للجمهور، يستطيع الحصول على تأييدهم لأقواله وأفعاله، واستمالة نفوسهم إليه، وكسر شوكة معارضتهم له، استنادا إلى أن النفس البشرية مجبولة على حب التقريظ"[1]، وهذا الشكر والتقريظ دليل على عمق

[1] إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي، تطبيقا على خطب حادثة السقيفة، د. عماد عبد اللطيف، ص٢٠٢.

العلاقات مع البابا فرنسيس بابا الفاتيكان الحالي، وكلمات التقريظ لدوره ومواقفه، كما تعرِّض بالبابا السابق بندكيت السادس عشر الذي كان له مواقفه المعادية وتدخله في شئون المسيحيين في مصر، فقد "جمد الأزهر الحوار مع الفاتيكان في ٢٠يناير ٢٠١١م إلى أجل غير مسمى بسبب ما اعتبره تهجما متكررا من البابا بندكيت السادس عشر على الإسلام ومطالبته بـــحماية المسيحيين في مصر بعد حادث تفجير كنيسة القديسين بمدينة الإسكندرية، وبدوره اعتبر أحمد الطيب أن حماية المسيحيين شأن داخلي تتولاه الحكومات باعتبار المسيحيين مواطنين مثل غيرهم من الطوائف الأخرى"[١]، بل واشترط الأزهر اعتذار بندكيت السادس عشر عن كل تدخلاته وتصريحاته المعادية.

ثم انتقل إلى الختام لبيان دور الأزهر وسعيه الدائم للتعاون في مجال الدعوة إلى توسيع مساحات الاتفاق بين الأديان وهي كثيرة جدا لأن منبعها واحد، كما دعا إلى السعي من أجل المستضعفين والمقهورين في الأرض، والعمل على استنقاذ الأسرة لأنها الأصل في بناء المجتمعات الخالية من التطرف والإرهاب، والوقوف ضد الانحرافات البشرية بجميع أشكالها، وأنهى الخطاب بدعاء الله تعالى أن يبارك هذا اللقاء ويجعله خطوة حقيقية للتعاون على **(نَشْرِ ثقافَة السَّلام والتآخي والعَيْش المُشترَك بين الناس)**، وهي كلمات مترادفة تحمل جميعها معنى (السلام) ليظل محفورا في قلب السامع وعقله فترة من الوقت، وكما بدأ الخطاب بتحية الإسلام وهي **(السَّلامُ عَلـــــَيْكُم ورَحْمَـــةُ اللهِ وبَرَكَاتُه)** ختم بها الحديث أيضا.

وهناك عوامل ربط أخرى نحوية ومعجمية أسهمت في تنظيم الخطاب وترتيب أجزائه؛ ومن المستوى النحوي: حرف الواو مثلا، فقد تكرر في الخطاب أكثر من ١٤٥ مرة، في حين أن عدد كلمات كله جاء فيما يقرب من ٨٧٩ كلمة، ولهذا كان تكرار الواو أمرا ملفتا للانتباه، فقد قام بدور ربط الكلمات، والفقرات بعضها ببعص؛ فلا تخلو فقرة في أولها من استخدام الواو، وقد جاءت رؤوس الفقرات كالآتي: **(ولايَزالُ العُقَلاء، وممَّا يُثيرُ الإحباطَ، والسُّؤالُ المحورى فى هذه المُفارقة، ولا حَلّ فيما يُؤكِّدُ عُقلاءُ المُفَـــكِّرين، وفى اعْتِقَادى أنّ الأرضَ الآن أصبحت مُمَهِّدة، ولكن**

[١] الأزهر يجمد حواره مع الفاتيكان،www.aljazeera.net ، ١/٢١/ ٢٠٠١م.

قبلَ ذلك يلزمنا العمل، وإنّا لنقدِّرُ لكم –حضرة البابا– تصريحاتِكُم المُنصفَةَ، وفى خِتامِ كَلِمَتِى)، إلا فقرة واحدة كان الربط معنويا مستخدما أداة الإشارة (هذا) لضرورة التنبيه على علاقة السابق باللاحق.

كما قامت الواو بدور الربط بين الجمل والمتتاليات النصية داخل الفقرات –كما تقدم من ذكر عدد مرات ورودها–، ويبدو توظيف هذا الحرف ومناسبته للخطاب من خلال وجود نظائر وشبكات لمفردات وتراكيب متقاربة في الشكل والوظيفة تحتاج إلى الربط بينها للتشريك في القضايا والحكم اللذين يتضحان من مقصدية الخطاب، وهو الحديث عن السلام الذي استدعى تشكيلة خطابية تدور حول هذا العنوان.

أداة آخرى من أدوات الربط بين الفقرات والجمل وهي الإشارة؛ مثال ذلك استخدام أداة الإشارة هذا لربط ما سيأتي بما تقدم من الخطاب، فقد يؤتى "باسم الإشارة لربط الكلام اللاحق بالسابق على طريقة العرب في أمثاله إذا طال الفصل بين الشيء وما ارتبط به من حكم أو علة أو نحوهما"[1]، يقول شيخ الأزهر في الخطاب: **(هَذَا السَّلام الضَّائع الذي تبحث عنه شعوبٌ وبلاد وبؤساءُ ومرضى...)**، لربط ما سيأتي من حديث عن السلام بما سبق من عنوان المؤتمر وهو السلام العالمي، وفي موضع آخر، يقول: **(هذَا، ولا يَزالُ الأزهرُ يسعى من أجلِ التعاون فى مجال الدَّعوَةِ...)**، لربط آخر الخطاب بما تقدم في صلبه، ولتقديم النتائج والعلاج لما طرح من مشكلات، ودور الإشارة هنا "جعل الخطاب متماسكا من خلال استحضار عنصر متقدم أو خطاب بأكمله"[2]، وذلك لأن المشار إليه مختزن في ذاكرة المستمع يستدعيه عند ذكر الإشارة إليه، وهذه العناصر النحوية أسهمت في تماسك الخطاب وترابطه.

وهناك ترابط وتماسك يعتمد على المستوى المعجمي ويظهر أيضا كآلية إقناعية تأثيرية وظاهرة مكثفة تكثيفا مقصودا؛ كأدوات الإشارة هذا، وهذه، وكلمات الدين، السلام، الحضارة، الله، الإرهاب، الإنسان، عصر، المؤمنين، الأرض، الإسلام، الأزهر، الناس، الحداثة، حقوق، صراع، التاريخ، العيش، الفلسفة، مأساة، العنف، عقلاء، عقائد، دماء، أرواح، شعوب وغيرها، ويتضح من اختيار الكلمات وتكرارها بهذا العدد تعمد قرع ذهن السامع كل لحظة لتأكيد الحجة.

---

[1] التحرير والتنوير ١٢٦/٢.

[2] لسانيات النص، محمد خطابي، ص١٧٧.

وإذا كان هناك مقاصد وراء تنظيم الخطاب وتماسكه بهذه الطريقة، فإن خروج فقرة عن الترتيب والنص على تأخرها أو تقدمها أمر يدعو إلى البحث وراء سر هذه المخالفة أو تأخير ما حقه التقديم، يقول: **(ولكن قبلَ ذلك يلزمنا العمل على تنقية صُورة الأديان ممَّا علَقَ بها...)** بعد قوله: **(إنَّ الأرضَ الآن أصبحت مُمَهَّدة لأن تأخذ الأديان دورها فى إبرازِ قيمَة السَّلَام...)**، وهذا التقديم والتأخير في ترتيب بعض أجزاء الخطاب على بعض للاهتمام والإدراك بالقيم الخلقية للأديان التي لا تعدلها حضارة ولا نظرية.

وقد بدا في الخطاب غلبة استعمال نماذج الخطابات التأثيرية التي تلتزم طريقة عرض معينة بأن يكون "ترتيب الأجزاء يسير في ثنائية عبر عنها في مجال البراهين بطريقة أخرى، وهي الدعوة العاطفية في المقدمة والخاتمة، والدعوة إلى الواقع والعقل في العرض والدليل"[1]، وهو نظام يتفق مع مقام الخطاب وموضوعه.

رابعا: الآليات والظواهر البلاغية والأسلوبية في الخطاب ودورها التأثيري.

يدور خطاب شيخ الأزهر حول السلام ظاهرا وحول نفي تهمة الإرهاب التي ألصقت بمنهج الإسلام باطنا، فقد لمس الأزهر تنامي هذه الظاهرة المفزعة في وسائل الإعلام الغربية والعربية التابعة للفكر الغربي، كلما وقع حادث عرضي يمكن أن يكون فرديا يعود إلى الفهم الخاطئ لهؤلاء الأفراد، أو حتى إلى استئجار من يقوم بهذا الجَلَبة، مع سرعة نسبة ذلك إلى منهج الإسلام، فكانت هذه الدعوة للتعريف بالإسلام وخطابه، وبدا الخطاب متسامحا يدعو إلى نبذ ثقافة العنف مستشهدا بالآيات القرآنية التي تتبرأ من هذه الأفعال الفردية، وقد اعتمد الخطاب في بنائه اللغوي والبلاغي على أمور تسهم في سرعة التواصل وبيان الحجة، وترك الأثر في نفوس المتلقين لهذا الخطاب، وجاءت على النحو الآتي:

١-التكرار ودلالاته في الخطاب

اعتمد الخطاب على عنصر التكرار كقيمة بلاغية وأسلوبية تبوح بأسرار النص، ويستطيع القارئ معرفة اتجاه الخطاب من خلال تكرار ألفاظ لا شك أن المرسل يبغي تأكيدها في ذهن السامع، ويقصد بالتكرار "أن يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفا، أو يأتي بمعنى ثم يعيده. وهذا من شرطه اتفاق المعنى

[1] في بلاغة الخطاب الإقناعي، د. محمد العمري، ص١٣٩.

الأول والثاني، فإن كان متحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس، وكذلك إذا كان المعنى متحدا، وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفا، فالفائدة في الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين"[1]، فاتفاق اللفظ المكرر لفظا ومعنى له دوره في التثبيت والتقرير وهو ما كان مدار خطاب شيخ الأزهر عليه، ولم يخل الخطاب من تكرار المعنى واللفظ مختلف المعروف بتكرار الترادف نظرا لتنوع الألفاظ مع أن مآلها واحد، للإحاطة بأنواع الدوال على اختلافها مع اتفاق المدلول.

وقد تنوعت طرق التكرار حسب التشكيلة الخطابية لكل مفردة وشبكاتها الدلالية، فكثر تكرار بعض الكلمات، وتكرار المترادفات، وكذلك تكرار تراكيب محددة.

أ-تكرار كلمة

تكررت كلمات بكثرة في هذا الخطاب ولكثرتها دلالة تستفاد من واضع ذكرها، و"قد تحمل مفردات الخطاب إيحاءات إيجابية أو سلبية تبعا للمجال الدلالي الذي تنتمي إليه، وطريقة تعبير كل منها عن الفكرة أو المعنى المنقول"[2]، ومن هذه تكرار أدوات الإشارة، هذه وهذا للفت الانتباه إلى المشار إليه وتمييزه في الخطاب، وليجعله محط عناية السامع؛ **هذه:** تكرار أداة الإشارة هذه تسع مرات في خطابه لتعظيم المشار إليه ودعوة للمتلقي إلى الاهتمام بمواضعها لما تحمله من دلالات تعبيرية موجهة، وبخاصة أن أداة الإشارة تأتي مبتدأ ينتظر السامع خبره بشوق واستعداد نفسي خاص، يقول: (هذه الزيارة، هذه المآسي، هذه الكوارث، هذه الأزمة، هذه المنجزات، هذه المفارقة، هذه الإنجازات، هذه الانحرافات، هذه الكوكبة) فالمتأمل لما يشار إليه في النص يمكن أن يعرف طبيعة سريان الخطاب ومدى الإحباط التي يحمله الخطاب؛ مآسي، كوارث، أزمة، انحرافات، مفارقة؛ فالإشارة إلى كل هذه الألفاظ يوحي بالدمار والهلاك وسيطرة السأم والظلام على المشهد.

هذا: وكرر هذا خمس مرات إشارة إلى أهمية المذكور، يقول: هذا السلام الضائع، هذا الدين، هذا الباب من الاتهام، هذا اللقاء، ويكفي المتلقي الوقوف على

---

[1] مقدمة تفسير ابن النقيب، لأبي عبد الله جمال الدين البلخي، ص٢٢٦، ومعجم النقد العربي القديم، د. أحمد مطلوب، ٣٧٠/١.

[2] من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي للخطاب، محمد لطفي الزليطني، ص٧.

مواضع المشار إليه بهاتين الأداتين ليعرف مواضع العناية والتركيز، وفي الموضع الخامس تأتي هذا للربط بين أجزاء الخطاب وتماسك السابق باللاحق.

ثم تكرار كلمات بعينها مع وضوح الدلالة على العناية بها؛ نحو: **لفظ الجلالة الله:** ورد لفظ الجلالة في الخطاب سبع مرات منها مرة بصيغة (اللهم)، وهذا الورود في سياق شبكة المفردات المشكِّلة للخطاب الديني، الجامع لتعاليم الأديان فيما يخص السلام، حيث ورود اللفظ بكثرة في سياق الحديث القيم الخلقية للأديان وهي مناهج إلهية أكثر نفعا للإنسان، فالله تعالى هو خالقه ويعلم ما يصلح شانه، وأما عن لفظة (اللهم) فتأتي في سياق الاستثناء وتستعمل "تمكينا للجواب ودليلا على الندرة، كقول العلماء: (لا يجوز أكل الميتة اللهم إلا أن يضطر فيجوز)"[1]، يقول في البحث عن (**سَبب مُقنِع وراء هذه المآسى... فلا يظفرون بِسَبَب واحد منطقى... اللّهُمّ إلّا سَببًا يَبدو معقولًا ومقبولًا، وهو تِجَارَةُ السِّلاح وتَسْوِيقُه**)، نظراً لقلة الأسباب التي تستطيع صنع كل مثل هذه الكوارث على عظمها وانتشارها وبقاء آثارها تعاني منه أجيال وأمم قادمة.

الدين: ورد لفظ الدين في الخطاب بصيغ مختلفة؛ الأديان جمعا ست مرات، والدين مفردا معرفا مرة، ومفردا منكرا مرة، وبالإضافة (دين إرهاب) ثلاث مرات، ومرة واحدة (تدين كاذب –دينه)، وذكر (اللادينية) مرتين؛ فجملة ما ذكر من مشتقات الدين خمس عشرة مرة، في توجيه صريح وجذب للانتباه إلى العناية بالدين فهو الأساس المتين الذي يسهل عملية الاتصال والتواصل بين البشر، وأن ما بين الأديان من نقاط اتفاق كثيرة في أصولها وثوابتها، أما الشرائع فتختلف من عصر إلى عصر، وبدا من تكرار الكلمة الإصرار على المقارنة بين الدين واللادين، وبخاصة عندما ذكر هذه النظريات والفلسفات التي تدعو إلى تهميش دور الأديان لمخالفتها لمصالحهم وأهوائهم.

السلام: هي الكلمة المفتاحية في الخطاب وعليها دورانه؛ فالمؤتمر تحت عنوان المؤتمر العالمي للسلام، وقد كررها ثماني مرات، هي: السلام الضائع، مؤسسات السلام، السلام العالمي، قيمة السلام، السلام والتآخي، وكان قد ذكر السلام في التحية أول الخطاب كما ختم به، وعند ذكر نبي الله موسى (عليه السلام) سلم عليه، فقال ثناء

[1] همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي،٦٣/٢.

عليه (عليه السلام)، ولتكرار هذه اللفظة تذكير بقيمتها وحرص الإسلام عليها في كل حركة من حركاته.

الحضارة: وردت لفظة الحضارة في خطابه ثماني مرات، معرفة مفردة ثلاث مرات، ومعرفة جمعا مرتين، ومعرفة مضافة مرتين، ومنكرة مرة واحدة، وهذه الكلمة لدورانها معنى؛ لأن السلام لم يك منشودا من قبل كما هو منشود الآن نظرا للتطور التقني الهائل، وأن الحضارات الموجودة هي خلاصة ما تقدم من حضارات حيث يجعلها ذلك على دراية بأخطاء السابقين لتجاوزها، وبخاصة فيما يخص السلام.

الإرهاب: تكررت كلمة إرهاب في الخطاب سبع مرات، جاءت معرفة بالألف واللام ومقترنة بلفظة العنف في موضعين، ومضافة إلى لفظة الدين في ثلاثة مواضع، نحو: (دين إرهاب)، وفي موضعين آخرين مضافة إلى لفظة الحضارة في (حضارة إرهاب)، والملاحظ أن جميع مواضع ذكر الكلمة ينفي وجودها عن الدين الإسلامي وعن الأديان قاطبة، وكذلك عن الحضارات القائمة على العقل والمنطق، وبخاصة الحضارتين الأوربية والأمريكية.

الإنسان: وردت اللفظة بمشتقات مختلفة سبع مرات، في قوله: (العقل الإنساني، احترام الإنسان، حقوق الإنسان مرتان، مأساة إنسانية، الفلسفات الإنسانية، تأليه الإنسان)، والإنسان هو صانع السلام وصانع المشكلات التي تقف حائلا أمام حدوثه، وهو محور هذا الخطاب وصانعه، وفي الاستشهاد القرآني ورد لفظ الإنسان في قوله تعالى: (ولقد كرمنا بني آدم) إشارة إلى وحدة الأصل، وليس هناك تمييز إلا بالنفع و إقامة السلام.

عصر: وردت خمس كلمة مرات في إشارة إلى العصر الحديث **(عصر مؤسسات السلام، عصر المذاهب، عصرنا الحديث، عصر حقوق الإنسان)** وفي قوله: **(ما لم يشهده عصر من قبل)** جاءت كلمة (عصر) منكرة تفيد العموم، وبخاصة العصور الماضية التي مرت على الإنسانية، وهو عتاب صريح للعصر وحضارته التي لم تحقق ولو قدرا ضئيلا من الاطمئنان والسكينة للبشرية، مع تناقض منجزات العصر مع ما يشهد من تقدم غير مسبوق في كل المجالات.

وكرر كلمة المؤمنين أربع مرات، كما وردت كلمات تكررت ثلاث مرات مثل: الأرض، الإسلام، الأزهر، الناس، الحداثة، حقوق، صراع، التاريخ، العيش، الفلسفة، مأساة، العنف، وكرر كلمات مرتين نحو: عقلاء، عقائد، دماء، أرواح، شعوب.

وتبرز دور الكلمات المكررة في نص قصير كعنصر معجمي مهم شغل بال المرسل، وأراد من خلال هذا المحفل المهم أن يبث أفكاره وألفاظه ويكررها للمتلقي، كنوع من تثبيت الفكرة، وجميع الألفاظ المكررة تدور في فلك الغرض الرئيسي وهو السلام والأديان، وحضارة العصر الحديث وعلومه المتنوعة، والمصائب والدمار بأنواعه الذي حل بالبشرية.

ب- تكرار ترادف

وهذا النوع من التكرار يعني ألا يكرر اللفظ بنفسه صراحة، وإنما تكرر المعاني؛ لتأكيدها وتقريرها في النفس بطريقة غير مباشرة، والإيعاز إلى المستمع بضرورة مراعاته لكل معنى على حدة؛ لأن كل معنى يحمل دلالة غير صاحبه، وفي ذلك يقول الجاحظ في وصفه: "وجملة القول في الترداد أنه ليس فيه حد ينتهي إليه ولا يؤتى إلى وصفه، وإنما ذلك على قدر المستمعين له ومن يحضره من العوام والخواص"[1]، وقد اهتم خطاب شيخ الأزهر بالمظلومين والمشردين فذكرهم في أكثر من موضع، يقول: **(هَذَا السَّلام الضَّائع الذى تبحث عنه شعوبٌ وبلاد وبؤساءُ ومرضى، وهائمون على وجوههم فى الصحراء، وفارُّون من أوطانهم إلى أوطانٍ أخرى نائيةٍ لا يدرون أيبلُغُونها أم يَحُولُ بينها وبينهم المَوتُ)**، ثم يقول: **(هذه الكوارثَ التى أناخت مطاياها بساحاتِ الفُقَرَاء واليتامى والأرامل والمُسنِّين)**، ثم يقول: **(فلْنَسْعَ معًا من أجلِ المُستضعَفِين والجائعين والخائفين والأسرى والمُعذّبين فى الأرضِ دون فرزٍ ولا تصنيفٍ ولا تمييز)**، فقد كرر هذه الفئات المتشابكة في دلالاتها ووظائفها والمتشابهة في أحوال تشردها وضياعها؛ لرفع الظلم عنهم أيا كانت دياناتهم ولغاتهم وأعراقهم وألوانهم، ولأنهم الأضعف من بين كل فئات المجتمع.

ومثل ذلك لما أراد أن يبين حجم الكارثة كرر لفظة الموت بأكثر من لفظ ليحيط خطابه بجميع صنوف الموت مع اختلاف أشكاله لهؤلاء المظلومين، يقول: **(وفارُّون من أوطانهم إلى أوطانٍ أخرى نائيةٍ لا يدرون أيبلُغُونها أم يَحُولُ بينها وبينهم المَوتُ**

[1] البيان والتبيين، ص٧٠.

والهَلاكُ والغَرَقُ والأشلاءُ والجُثَثُ المُلقَاةُ على شواطئ البِحار) في تعريض بصنوف الموت وأشكاله الموت جوعا وحرقا وغرقا وقتلا وتفجيرا وهجرة لحياة مأموله مطموع في نيلها.

ومثل ذلك من المترادفات قوله عن الأديان وقيمها الخلقية الأصيلة: **(التى لا تتبدّل بتبدُّل المصالح والأغراض، والنّزوات والشّهوات)**، ومثله أيضا في تطبيق العدالة لمساعدة المحتاجين، يقول: **(دون فرزٍ ولا تصنيف ولا تمييز)**، حيث يلحظ اتفاق المعنى واختلاف اللفظ، والألفاظ لا تتطابق تطابقا تاما في المعاني ولكن يفهم من اللفظ معنى عاما تتفق فيه مفردات كل مجموعة سيقت لغرض تعبيري خاص.

ج- تكرار تراكيب

تؤدي التراكيب وظيفة أكثر تأثيرا من المفردات إذا ما كررت في الخطاب؛ لزيادة مبناها الذي يضاعف المعنى، ويكون الغرض من وراء صياغتها وتكرارها نوع من تأكيد القضية المطروحة، يقول ابن جني: "إن العرب إذا أرادت المعنى مكّنته واحتاطت له فمِن ذلك التوكيد"[1]، وهو أساس كل تكرار خاصة إذا كان في المبنى لأن في ذلك مزيد عناية وزيادة تأثير.

ولما أراد الخطاب أن ينفي عن الإسلام تهمة الإرهاب؛ كرر تراكيب متناسقة أعادها بالطريقة نفسها؛ لجذب انتباه السامع إلى تشابه جميع الأديان في ظروف شذوذ بعض أتباعها وتأويلهم النصوص وفقا لأفهامهم غير مراعين ظروف النص ومناسبته ودون دراية بمفرداته وصياغته ودلالته؛ يقول: **(فلَيْسَ الإسلام دين إرهاب بسبب أن طائفة من المؤمنين به... ولَيْسَت المَسيحيّة دين إرهابٍ بسبب أن طائفة من المؤمنين بها...وليست اليهودية دين إرهاب بسببِ توظيف تعاليم موسى (عليه السلام) – وحاشاه- توظيفها فى احتلالِ أراضٍ)**، ومثل ذلك الحضارات، يقول **(بل لَيْسَت الحضَارة الأوروبيّة حضارةَ إرهاب بسببِ حربين عالَميتَين... ولا الحضارة الأمريكية حضارة إرهاب بسبب ما اقترفته قنابلها)**، وهذا التكرار المتعمد في نفي الإرهاب عن الحضارات يرتبط ارتباطا وثيقا بمخزون المتلقي، وبخاصة إذا كانت الأحداث المذكورة لا تنكر لذيوعها وانتشارها؛ "لأن إثارة المتلقي المرجوة تحدث عندما تستدعي خبرات المتلقي المختزنة والمتجانسة مع معطيات الصور المتخيلة، فيتم الربط على مستوى

[1] الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ١٠٦/٣.

اللاوعي من المتلقي بين الخبرات المختزنة والصور المتخيلة، فتحدث الإثارة المقصودة"[1]، ولذا فالتكرار الجملي التركيبي له هدف تثبيت الفكرة في ذهن المتلقي وهي نفي الإرهاب عن جميع الأديان ونفيها ومن بينها الإسلام لمشابهته لظروفها، ولأنه الأكثر اتهاما من أي دين آخر، ولهذا النوع من الأساليب دوران حيث "يقوم التكرير أولا: بالربط؛ أي: الجمع بين الكلامين، والثانية: الوظيفة التداولية المعبر عنها هنا بالاهتمام بالخطاب، أي لفت أسماع المتلقين إلى أن لهذا الكلام أهمية لا يمكن إغفالها"[2]، وللتكرار قيم أسلوبية بارزة، ودور لفظي هو الربط، ومعنوي هو التأثير.

٢- سلطة الاستفهام في الخطاب

لم يكثر من الاستفهام في الخطاب وإنما جاء قليلا يحمل تعددا في الطرح والصياغة مرة على سبيل التساؤل، كقوله: (وفارُّون من أوطانهم إلى أوطانٍ أخرى نائيةٍ لا يدرون أيبلُغُونها أم يَحُولُ بينها وبينهم المَوتُ) فخروج الاستفهام إلى غرض الإنكار يطرح مسئولية ما يحدث على عاتق المستمعين، وبخاصة أن الخطاب موجه في الأساس إلى صفوة رجال الأديان، ولهم دورهم وعلاقاتهم بالساسة، ويمكن لهم أن يصنعوا قرارا في هذا لقدرتهم على التأثير النفسي في الحكومات خاصة في أوربا وعلى رأسهم ممثل أكبر مؤسسة دينية فيها.

تتنوع آليات توظيف الاستفهام كسلطة حوارية يمتلكها صانع الخطاب حسب الحدث؛ فمرة يفهم من الصياغة وجود سؤال بل ووجود إجابة، وهذا النوع ضرب من السؤال الضمني في ثياب الخبر الذي يثير اهتمام المتلقي ويبعثه على صياغة سؤال وفي الوقت نفسه ينتظر من المتكلم ذكر الإجابة وهي سلطة تأثيرية للمتكلم مؤثرة جملة وتفصيلا إذا أحسن حبكها وتوظيفها، وفيها "يكون صاحب الخطاب مصدرا للخبر، عالما به، مدركا لتفاصيله وحيثياته، ويكون المخاطَب متلقيا ينتظر من صاحب الخطاب أن يمده بالمعلومات وافية، ومن الطبيعي والحال هذه أن يكون الأول مهيمنا على الموقف، ومثال ذلك جملة الاستفهام التي يكون السائل فيها متحكما في المشهد ينتظر من المتلقي أن يرد ويستجيب"[3]، ومما ورد في هذا الشأن، يقول : **(ولايَزالُ العُقَلاء**

---

[1] إشكالية التلقي والتأويل، سامح الرواشدة، ص١٧.

[2] لسانيات النص، محمد خطابي، ص١٧٩.

[3] من تحليل الخطاب إلى الخطاب النقدي، ص١٨، ١٩.

وأصحاب الضَّمائر اليَقظَة يبحثونَ عَن سَبب مُقنع وراء هذه المآسى...فلا يظفرون بِسَبَب واحد منطقى، يُبرِّر هذه الكوارثَ... اللّهُمَّ إلّا سَببًا يَبدو معقولًا ومقبولًا، وهو تِجَارَةُ السِّلاح وتَسْويقُه)، فكأن سائلا سأل ما السبب وراء هذه المآسي والكوارث؟ فيلقن المتكلم الإجابة للمستمع المتلهف لمعرفة السبب.

وأحيانا يطرح السؤال تلو السؤال بصيغة السؤال وشكله ومضمونه بل يفصح عن وجود سؤال؛ كقوله: **(والسُّؤالُ المحورى فى هذه المُفارقة هو: كيف أصبحَ السَّلامُ العالمى الآن وسط كل هذه الإنجازات هو الفردوس المفقُود؟ وكيفَ شَهِدَ عصر حُقُوق الإنسان من الأعمال الهَمَجيّة ما لم يَشْهَدَه عصرٌ من قَبلُ؟ والإجابة التى أعتقد أنّ حضراتِكم توافقُونَنى عليها هى تجاهلُ الحضارةِ الحديثة للأديان الإلهيّة)**، وفي كل هذه الاستفهامات يتبين المتابع سلطة المتكلم في الهيمنة على المشهد، واستدراجه السامع للإصغاء إلى ما يريد بل ويصوغ مقاصد الخطاب وأغراضه في صورة الاستفهام ويجعله –في المواضع التي اختارها من الخطاب– أداة تكثيف وتركيز وجذب.

٣– مراعاة النظير والجمع بين المتقاربات.

ظاهرة لغوية بلاغية اعتمد عليها خطاب شيخ الأزهر بكثرة واضحة وطريقة قصدية ملفتة، لبيان الحقول المعرفية المتقاربة وجمْع كل المتناسبات في تشكيلة واحدة بغية تأكيد المعنى في ذهن السامع، على طريقة مراعاة النظير وهو فن بلاغي "يسمى التناسب والائتلاف والتوفيق والمؤاخاة، وهو في الاصطلاح: أن يجمع الناظم أو الناثر أمرا وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة، وسواء كانت المناسبة لفظا لمعنى، أو لفظا للفظ، أو معنى لمعنى؛ إذ القصد جمع شيء إلى ما يناسبه من نوعه، أو ما يلائمه من أحد الوجوه"[١]، ومن نماذجه في الخطاب، يقول عن سبب الكوارث والمآسي: **(وهو تِجَارَةُ السِّلاح وتَسْويقُه، وضمانُ تشغيل مصانع المَوت، والإثراء الفَاحِش من صفقات مُريبة، تسبقها قَرارَاتٌ دوليّةٌ طائشة)**، فالتناسب بين تجارة السلاح، ومصانع الموت، والصفقات المريبة، والقرارات الطائشة كل ذلك يسهم إسهاما مباشرا في قتل الأبرياء وترويع الآمنين، فقد ذكر هنا كل الأدوات المتشابهة لصنع هذه الكوارث؛ فتجارة السلاح هي مصانع الموت، وهي الصفقات المريبة سواء في بيعها

[١] خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين بن عبد الله الحموي، ص ٢٩٣/١.

والتربح منها أو في استخدامها في احتلال أراض، أو دعم فريق على آخر لضمان الهيمنة والسيطرة، والقرارات الطائشة سواء في اتخاذ قرار الحرب من جانب من يملك السلاح، أو هي قرارات مجلس الأمن غير المجدية، ويقول أيضا عن القرن الواحد والعشرين ومنجزاته الحضارية: **(قرن التحضُّر والرُّقى وحُقُوق الإنسان، والتقدُّمِ العلمى والتِّقنى الهائل، وفي عَصْرِ مؤسَّسَات السَّلام ومجالسِ الأمنِ، وتجريمِ استخدام القُوَّة، والتّهديد بها فى العَلاقات الدوليّة)**، حيث يعدد في هذا المتناسبات التقدم بأشكاله: التقني والمؤسسي والحقوقي والقانوني، ثم لا يوجد صدى لهذا التقدم، ويقول أيضا: **(عصرِ المَذاهِب الاجتماعيةِ والفلسفات الإنسانيّة، والتبشير بالمُسَاواةِ المُطْلَقة ومُجتمع الطّبقة الواحدة، والحَدَاثَة اللادينيّة، ومَا بعد الحَدَاثَة، إلى آخرِ هذه المُنجزات الاجتماعيّة والفلسَفيّة)**، يذكر هنا ذروة التقدم في العلوم الإنسانية والنظريات الاجتماعة والفلسفية، مما يجعلنا ننتظر من هذا التقدم الكثير ولكن لا جدوى، وفي الجمع بين النظائر إحاطة الخطاب بكل هذه العلوم في محاولة لإثبات فشلها وإقامة الحجة عليها وعجزها عن تقديم حلول لمشاكل البشر ورفاهية لعيشهم، وبذلك يكون الاتجاه إلى الأديان بالدراسة والتمحيص واستنباط ما ينفع البشر منها، حيث يدعو إلى إعطاء الفرصة لها. ويقول مؤكدا على انتهاج مبدأ السلام: **(إبرازِ قيمَة السَّلَام، وقيمَة العَدْلِ والمُسَاواةِ، واحترامِ الإنسان)**، وكلها أمور تتصل بالسلام وتسهم في الارتقاء به، ومثله الدور الذي يقوم به الأزهر في نشر ثقافة السلام؛ يقول:**(يسعى من أجلِ التعاون فى مجال الدَّعوَةِ إلى ترسيخ فلسفة العَيْش المُشتَرَك وإحياء منهجِ الحوار، واحترام عقائد الآخرين، والعملِ معًا فى مجالِ المُتفق عليه بين المؤمنينَ بالأديان)**، ويختم بقوله: **(نتعاونُ فيها جميعًا على نَشْرِ ثقافَة السَّلام والتآخي والعَيْش المُشتَرَك بين الناس)**.

ويقول في موضع آخر: **(تنقِية صُورة الأديان ممَّا عَلِقَ بها من فهومٍ مغلوطةٍ، وتطبيقاتٍ مغشوشةٍ وتديُّنٍ كاذبٍ)**، فالغلط والغش والكذب آفة أتباع الأديان، وهم سببٌ رئيس في نفور كثيرٍ من الناس عنه؛ لأن كثيرا من المتابعين للأديان يحكمون عليها من خلال تصرف أتباعها، ويقول عن حماية الأسرة: **(استنقاذِ كيانِ الأُسرة ممَّا يُتربِّص بها من انفلاتِ الأخلاق، وانحرافاتِ البَحث العلمى)**، فيذكر ما يسوء الأسرة؛ لأن الأسرة هي المؤسسة الأولى التي ينهل الطفل منها صحيح الأفكار والمعتقدات، وهي المنوط بها تطبيق صحيح الأديان ومنطق الحضارات، ويقول: **(ولنقف معًا فى وجهِ**

سياسات الهيمنة، ونظريات: صراع الحضارات، ونهاية التاريخ، ودعوات الإلحاد، والعقلية الميكيافيليّة، والحداثة اللادينيَّة، وفلسفاتِ تأليهِ الإنسانِ)، يجمع هنا كل الشطط الذي لحق بالعصر الحديث، وكان سببا في دمار العالم، وكلها أمور تعود إلى الأهواء والفهم المغلوط للأديان والحياة.

وقد ارتكز الخطاب على ذكر الأشياء المتقاربة؛ كنوع من تأكيد المعنى والحصر، ليعطي كل مستمع ما يناسبه من الألفاظ وما يروق له من كلمات لها تأثيرها في وعيه وقَبوله، وقد أدى مراعاة النظير دورا في بسط الكلام وجمع ما يمكن أن يجمع في باب واحد مع التناسب والتقارب، وقيمتة البلاغية في ذلك "أن تضم إلى ذكر الشيء ما يليق به ويجري مجراه، أي؛ تجمع الأمور المناسبة"[1]، وقد اعتمد عليه الخطاب في عملية التوصيل والبسط والتعديد، لأن وقع الأمور المتناسبة مع حاجة المقام إليها أمر يطيل أمد الفكرة حتى تستقر استقرارها المكين في نفس السامع.

٤-الاستعارة في الخطاب تخيُّر وتوظيف

الاستعارة عند البلاغيين ضرب من المجاز؛ أي مجاوزة الحقيقة، وعند الأسلوبيين انحراف وعدول عما وضع له اللفظ، والمعنيان واحد؛ إلا أن اختيار البلاغيين للمجاز أدق وأعمق من الانحراف؛ لأن الانحراف معناه الخروج نهائيا عن المألوف وهذا غير مطلوب، وإنما المراد أن يجاوز اللفظ الحقيقة مجاوزة وهو انحراف بضوابط وهي أن يكون هناك علاقة بين اللفظ الأصلي واللفظ الجديد المنقول إليه، فبين الحقيقة والمجاز تقارب وتشابه أو علاقات أخرى غير المشابهة، أما الانحراف فلا يشير إلى ذلك.

وقد تناقل العلماء تعريف الاستعارة وصفتها وحدها؛ يقول الرماني موجزا: "وحد الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة"[2]، فالأصل في الخروج عن أصل اللغة التوضيح والتقريب، ومجاوزة الحقيقة لا تكون اعتباطا بل "لابد أن تكون الاستعارة أبلغ من الحقيقة لأجل التشبيه العارض فيها؛ لأن الحقيقة لو قامت مقامها لكانت أولى بها"[3]، ونظرا لطبيعة الخطاب الذي يواجه

---

[1] نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، ٨٩/٧ .

[2] النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، علي بن عيسى أبو الحسن الرماني،ص٨٥.

[3] خزانة الأدب وغاية الأرب ١٠٩/١.

علاجا لمشكلة الصراعات القائمة في المنطقة العربية والعالم، بدا استدعاء الاستعارة أمرا حتميا، وبخاصة إذا عجزت الحقيقة عن صياغة الواقع وتجليته، والاستعارات في الخطاب كثيرة جدا؛ منها: قول شيخ الأزهر: **(هَذَا السَّلام الضَّائع الذى تبحث عنه شعوبٌ وبلاد وبؤساءُ)**، والسلام ليس شيئا ماديا فيضيع وإنما هو أمر معنوي، وإذا ضاع لا يبحث عنه؛ لأن البحث عنه لن يؤدي إلى إيجاده، ولكن نظرا للحالة النفسية المؤلمة التي سيطرت على الخطاب جعل من السلام شيئا ماديا يبحث عنه ويرجى الوصول إليه، لعلاقة هي أن الشيء المبحوث عنه؛ كأمر يري ويحس ويلمس يمكن أن يتوصل إليه حتى لو طال البحث زمانا، فالاستعارة هنا مقصودة وتحمل دلالات تقريب السلام من المخاطبين، و"الاستعارة أن تريد تشبيه الشي بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه"[1]، وتصوير السلام كأمر مادي يضيع، هو من العدول عن المألوف ومجاوزته، ولهذه الأمور تأثيرها في المتلقي؛ لأنها تستميل شعوره وإحساسه، وتضع غير المحسوس موضع المحسوس.

ويقول عن بحث العقلاء عن سبب المآسي التي يمر بها العالم: **(فلا يظفرون بِسَبَبٍ واحدٍ منطقى، يُبرِّر هذه الكوارثَ التى أناخت مطاياها بساحاتِ الفُقَرَاء واليتامى...)**، يركز الاستعارة هنا على إقامة الكوارث ومكوثها واستقرارها في زمن الصراعات الذي لا يأمن فيه الضعيف والفقير على نفسه، بل لا يرجو أن يحل الأقوياء مشاكله، وفي هذه الصراعات اللامتناهية تقبع الكوارث في أمان منقطع النظير، كأنها أقوام بلغت الماء في البيئة العربية القديمة ولما وردته بعد عناء ونصب لن يسهل إقناعها بتغييره، ويكني تعبير (أناخت مطاياها) عن طول المكث والإقامة، والاستعارة مع الكناية قامتا بدور فاعل في اتساق النص وبيان هذه المعاناة.

وترتبط هذه الصورة بصورة أخرى يعرض فيها لأسباب هذه الكوارث، ويعزو ذلك إلى تجارة السلاح الرائجة المربحة للأقوياء، وتظهر الاستعارة ذات الوقع الأليم، مع بيان سبب المآسي يقول: **(اللّهُمَّ إنّا سَبَبًا يَبدو معقولًا ومقبولًا، وهو تِجَارَةُ السِّلاح وتَسْوِيقُه، وضمانُ تشغيل مصانع المَوت)**، والموت ليس له مصانع، وإنما أراد تكثيف هذه الصورة مع ما قبلها ليعطينا صورة كاملة للصراع، وفاعلية الاستعارة تتجلى في "إحداث الصورة الرائعة تلك التي تبدو جديدة أمام العقل، بالربط دون المقارنة بين

[1] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص٦٧.

حقيقتين واقعيتين بعيدتين لم يدرك ما بينهما من علاقات سوى العقل"[1]، وكلما كان الادعاء بكمال المشابهة في الاستعارة كانت قوتها وعمق تأثيرها، وحظوتها بالقبول عند السامع.

ومن نماذج الاستعارة أيضا قوله عن تقدم العصر وما فيه من رقي لا ينكره مبصر في العلوم الطبيعية والإنسانية، يقول: **(إلى آخرِ هذه المُنجزات الاجتماعيّة والفلسَفيّة التى يتيه بها عصرنا الحَديث)**، والعصر لا يفخر بالمنجزات وإنما يفخر بها الإنسان، شبه العصر بإنسان يتيه ويفخر، ومغزى الاستعارة وعي من في هذا العصر بكل هذه المنجزات ثم لا تغيِّر من رفع العناء عن الناس فيه، فما قيمة هذه المنجزات وتلك النظريات وفي هذا تعريض بزيفها وخوائها والأصل الرجوع للأديان ومناهجها السليمة، ويرتبط هذا الكلام بموضع آخر يدعو فيه إلى نبذ هذه الفلسفات الفارغة التي لا تقدم شيئا للإنسان، يقول: **(ولا حَلّ فيما يُؤكِّدُ عُقَلاءُ المُفَــكِّرين فى الغَربِ والشّرقِ إلّا إعادةِ الوعى برسالاتِ السّماء، وإخضاع الخِطاب الحَدَاثى المُنحَرِف لقِراءةٍ نقديّةٍ عَميقة تنتشل العقل الإنسانى مما أصابه من فقر الفلسفة التجريبية وخوائها، وجموحِ العقلِ الفردى المُستبد وهيمنَتِهِ على حياة الأفراد)**؛ ولذلك يجب أخذ الصورة الاستعارية على أنها "كل متكامل، فإنها بما تعقده من تداخل بين طرفيها، تتيح الظهور لمعنى ما كان له أن يوجد بأية وسيلة أخرى، وذلك لأن كلا من الطرفين يكتسب بداخلها دلالة جديدة"[2]، وجل استعارات الخطاب يطغى عليها التشخيص وهو تحويل الجمادات إلى شخوص، والتجسيم ويعني تحويل المعنويات إلى محسوسات، فيلبس غير العاقل لباس العاقل حتى يحملها ما يريد من معاني، وقد كان لذلك دور في توصيل أزمات العصر التي يستغيث فيها غير العاقل استغاثة العاقل؛ يقول في أكثر من موضع: **(إنّ التّاريخَ لَمْ يَعْرِف لها مَثيلًا مِن قَبلُ- تجاهلُ الحضارةِ الحديثة للأديان الإلهيّة- وإخضاع الخِطاب الحَدَاثى المُنحَرِف- تنتشل العقل الإنسانى مما أصابه من فقر الفلسفة التجريبية- تأخذ الأديان دورها- بسبب ما اقترفته قنابلها من تدمير البَشَر والحَجَرَ)**

---

[1] الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين إسماعيل، ص١٣٤.

[2] حركات الشعر الحديث في سوريا من خلال أعلامه، أحمد بسام ساعي، ص٣٠٤.

وقد تكون الاستعارة عن قصد عند إضفاء صفات الحيوانية عند إرادة الثورة والهياج دون ضابط من عقل أو فهم، يقول: **(وجموح العقلِ الفردى المُستبد وهيمنَتِه على حياة الأفراد)**، وعند تصوير البشرية دون قانون إلهي يضبط تصرفاتهم، وعجز القوانين الوضعية عن حل مشكلات العالم، وأنها إذا نجحت في ضبط مناطق وبلاد إلا أنها لن تستطع حل مشكلات المجتمعات كافة، في هذه الحالة يتحول المجتمع البشري إلى مجتمع حيواني بلا قواعد ولا أنظمة تحكمه، يقول: **(حتى لا يتحوّل العالَم إلى غابةٍ من الوحوشِ الضّارية يعيش بعضُها على لحوم البعض)**، ومع تواصل الخطاب وتكامله يبدو التماسك والانسجام بين أجزائه، ويرجع ذلك إلى طبيعة الخطاب ودورانه حول فكرة السلام ودور الأديان، فيظهر اتساق الاستعارة الماضية مع الاستشهاد القرآني في الخطاب؛ يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإســـــراء :٧٠)، وقد تكررت الفكرة أكثر من مرة بصياغات مختلفة للإقناع وترك الأثر فترة من الزمن.

وفي موضع آخر عندما أراد أن ينفي عن الإسلام تهمة الإرهاب نسبها إلى أفراد لم يمكثوا حتى يتلقوا تعاليم الإسلام بفهم سليم، وتطبيق صريح، وتدين صادق، بل فعلوا ما فعلوه في غفلة من المجتمع ومناهج الدين الواضحة، يقول: **(فلَيْسَ الإسلام دين إرهاب بسبب أن طائفة من المؤمنين به سارعوا لاختطاف بعض نصوصه وأولوها تأويلًا فاسدًا)**، والنصوص لا تختطف، وإنما تتلقى بالعلم والرواية والشرح والاختبار، ثم يجاز حاملها لينقلها إلى غيره، فصور طريقتهم في إزهاق الأرواح نتيجة سرقتهم لهذه النصوص، فالسارق لا ينتفع بسرقته أبدا وإن بدا له ولغيره النفع منها.

خامسا: التناص والاستشهادات وقيمتهما الإقناعية.

تتداخل النصوص وتستدعى عند الحاجة إليها حسب موضع ورودها وأسباب هذا الاستدعاء كثيرة يفهم غرضها عند الوقوف على الاستشهاد بها، وهذا التداخل بين النصوص يعني: "الوجود اللغوي سواء كان نسبيا، أم كاملا، أم ناقصا لنص آخر، وربما كانت أوضح صور التداخل الاستشهاد بالنص الآخر داخل قوسين"[1]، ولم يقف الأمر هنا عند نقل نصوص لتقوية الخطاب وزيادة تأثيره بل توجيه الخطاب إلى

[1] قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، د. محمد عبد المطلب، ص١٥٢.

الاستشهاد بنصوص دينية وتاريخية لتقوية الفكرة الرئيسية، والمتكلم يعرف منزلة هذا الخطاب في نفوس المتلقين له، لا الجمهور الموجود في قاعة المؤتمر فحسب بل يمتد أثره ليصل إلى كل بقاع العالم، نظرا لكون المتكلم شخصية تمثل المسلمين مع كثرة عددهم وكذلك المسيحيين في كل بقاع الأرض لحضور شخصية البابا فرنسيس، وكذلك المهتمين بالخطاب من اليهود والمثقفين والنقاد وغيرهم في ربوع الأرض، وبخاصة أن "أساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم، وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي أيضا"[1]، وقد استشهد الخطاب هنا بالآيات المشهورة في سياق تكريم الإنسان وتفضيله في العقيدة الإسلامية مقدما ما تؤمن به هذه العقيدة كتطبيق فعلي للدعوة إلى السلام للبشرية؛ يقول هذه العقيدة تدعو إلى: **(احترام الإنسان أيًّا كان دينُه ولونُه وعرقُه ولغتُه)**؛ ثم يستشهد بالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(الإسراء:٧٠)، كما استشهد عقبه بآية أخرى مقدما لها بقوله: (كما نقرأ في باب التعارف والتراحم؛ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(الحجرات:١٣)، ويبين الاستشهاد تكريم الإسلام لبني آدم جميعا لتكريم الله لهم، ويوضح قيمة التعارف مع الشعوب لا العزلة التي يبغيها أعداء الإسلام، ثم يوجهوا إليه سهامهم وسبابهم وينعتوه بالإرهاب معتمدين على تخويف الناس منه بتجهيلهم وصرفهم عن معرفته معرفة واضحة.

وليس الإسلام دين إرهاب وإنما ينسب الإرهاب إليه قصدا لمآرب أعدائه وخوفهم من انتشاره، حيث لو أعطي للمنهج السليم فرصة لعرض أفكاره لا شك أنه سينتشر انتشار النار في الهشيم، ولذلك تأتي محاربته بتسليط الضوء على الأخطاء الفردية من المنتمين إليه، ومع تطور التاريخ وظهور القنوات الفضائية تصعب محاربة الإسلام بالطريقة التقليدية في الاحتلال والحروب الصليبية وغيرها؛ فكان لابد من تغيير وجه الغزو. وقد لبست الحروب ثوبا جديدا الآن وهو ثوب الحرب ضد الإرهاب العالمي، الذي تقوده أمريكا ضد الشعوب الإسلامية، وأن الاستراتيجية الأمريكية في العالم الإسلامي هي محاربة الإرهاب، وهناك عشرات المقالات والأقوال لساسة الغرب ومفكريهم تؤكد أن المستهدف من شن الحروب الغربية بزعامة أمريكا هو الإسلام

[1] تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، ص١٢٣.

وليس شيئا آخر[1]، والمتكلم هنا على دراية بهذه المعلومات لذا حاول من خلال الخطاب إبطال هذه التهمة.

كما أنه يخاطب بابا الفاتيكان وآباء الكنائس الشرقية والغربية وهم على دراية بكثير من نصوص القرآن؛ فإن كان استشهاده معروفا عندهم أكده لهم، وإن كان غير معروف أخبرهم به وبينه لهم، وبخاصة أن التناص "وسيلة تواصل لا يمكن أن يحصل القصد من أي خطاب لغوي بدونه إذ لا يكون هناك مرسل بغير متلق متقبل مستوعب مدرك لمراميه، وعلى هذا فإن وجود ميثاق وقسطا مشتركا بينهما من التقاليد الأدبية، ومن المعاني ضروري لنجاح العملية التواصلية"[2]، وهذه أقصر طرق التواصل بينهما.

ومن النصوص المتداخلة في الخطاب ما هو منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يذكره شيخ الأزهر كحديث نبوي، وإنما كقول مأثور مقبول عند المسلمين، يقول في سياق حديثه عن قيم الأديان الخُلقية؛ ومنها: **(قيمة الأُخوّة والتّعارُف والتَّراحُم بين الناس، وتذكيرهم الدائم بأنّ الخَلْقَ كلّهم عِيَالُ الله، وأنّ أحبّهُم إلى الله أنفعهم لِعيالِه)**، ذكره شيخ الأزهر كعنوان للتكامل والتساوي بين البشر، مادحا من يساعد الإنسانية للخروج من كبوتها، وهو قول مأثور لم أقف على نسبته إلى النبي صلى الله عليه وسلم إلا في بعض المراجع التي أجمعت جميعها على ضعف سنده، يقول الأثر:"حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا يوسف بن عطية، حدثنا ثابت، عن أنس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الْخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ، فَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ"[3]، وإسناده ضعيف كما يقول محقق الكتاب، ويقول البوصيري في شأن هذا الأثر وطريقة إسناده: "ومدارُ إسناد حديث أنس هذا على يوسف بن عطية الصفار، وهو مُجْمَعٌ على تَرْكِهِ"[4]، وقد سيق هنا كقول مأثور فحواه تساوي الخلق جميعا في الحقوق والواجبات وعدم المساس بحقوق الناس حتى لو اختلفوا دينا ولغة ولونا وعرقا فكلهم لأب واحد، بل جعل منزلة الإنسان من الله بقدر إحسانه إلى البشرية.

---

[1] انظر/ الحرب النفسية، أضواء إسلامية، د.فهمي النجار، ص٣٢٨.

[2] تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، ص١٣٤.

[3] مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى التميمي، برقم ٣٣١٥، ٦٥/٦.

[4] المعين على تفهم الأربعين، لابن الملقن المصري، ص ٣١٥.

ولم يكتف الخطاب بالاستشهاد على مبادئه بالنصوص الدينية المباشرة وغير المباشرة في نفي تهمة العنف والإرهاب عن الإسلام والمسلمين بل اتجه إلى التاريخ- الإحالة إلى التاريخ- يستشهد بأحداثه التي لا ينكرها أحد من الحضور من غير المسلمين خاصة، وهي أحظى بالقبول عندهم؛ لأنها أحداث يعرفونها ويؤمنون بحدوثها بل هي أقوى عندهم من النصوص الدينية للمسلمين، ولم يكن ليذكر نصوصا من القرآن إلا ليبين دعوة القرآن الكريم إلى تفضيل الإنسان من بني آدم، ودعوته إلى التعارف والأخوة في الإنسانية؛ فاستشهد بالحروب الصليبية، واحتلال فلسطين عام ١٩٤٨م، وقيام حربين عالميتين، وإلقاء قنابل أمريكا على اليابان، للتذكير بأن ما ينسب إلى المسلمين من نعت بالإرهاب يمكن أن ينسب إلى كل الأديان وجميع الحضارات، فليست كل الأديان أديان إرهاب بسبب طائفة ضلت الطريق، ولا الحضارات كذلك، ثم يصل إلى نتيجة وحجة قاطعة، يقول: **(هذه كلها انحرافات عن نهج الأديان وعن منطق الحضارات، وهذا الباب من الاتهام لـــو فُـــتِـــحَ -كما هو مفتوحٌ على الإسلام الآن-فلَنْ يسلَم دينٌ ولا نظامٌ ولا حضارةٌ بل ولا تاريخٌ من تُهمة العُنف والإرهاب).**

وقد وظف التناص المباشر في الخطاب من خلال النصوص القرآنية والأحداث التاريخية التي استدعاها منشئ الخطاب، لتأييد وجهة نظره دون إفراط منه في كثرتها، بل وظف كل استشهاد في موضعه المناسب له، ولم يقتصر الأمر على هذا النوع من التناص بل هناك في الخطاب نماذج لتناص الأفكار والمعاني؛ ومنها على سبيل المثال أن كل ما جاء في الخطاب من أوله إلى آخره، وفي حضور رئيس أكبر مؤسسة دينية في العالم المسيحي يكاد أن يجمعه، قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(آل عمران:٦٤)، فالدعوة إلى أن تأخذ الأديان دورها، ونفي تهمة الإرهاب عن الإسلام، والدعوة إلى الوقوف ضد الغلو ومنها تأليه الإنسان كل هذه معان واردة في الآية الكريمة.

سادسا: آليات الحجاج في خطاب شيخ الأزهر

اعتمد خطاب شيخ الأزهر اعتمادا واضحا على المبادئ الحجاجية والحقائق المتعارف عليها والمقبولة جملة وتفصيلا عند جمهور السامعين، فلم يتطرق لقضايا خلافية، بل يفهم من الخطاب نبذ الخلاف نظريا وتطبيقيا عبر البحث عن آليات

التواصل والتقارب لا الانقطاع والتباعد، والمبادئ الحجاجية "هي مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة، والكل يسلم بصدقها وصحتها"[١]؛ أي هي مجموعة من المبادئ والآليات المتفق عليها بين المرسل والمستقبل، ويكون المستقبل على دراية بها ويسلم بصحتها.

كما ظهر لمعالم الحجاج في الخطاب؛ تصوران: أحدهما كان في جانب الدفاع عن العقيدة من خلال إرساء دعائم الفهم الصحيح للأديان وخاصة الإسلام، وتصويب المفاهيم المغلوطة من خلال الاعتماد على عرض الحقائق الواضحة التي ليس فيها جدال أو مراء، والثاني تصور سياسي من خلال الاتكاء على فشل الحضارات وحدها في القضاء على تجارة السلاح والكوارث التي يتعرض لها البشر في القرن الواحد والعشرين، مما يجعل العودة إلى قيم الأديان الخلقية أمرا لا مفر منه لحل هذه المشكلات، وكذلك حضور القضية الفلسطينية في المشهد له دلالة على اهتمام مؤسسة الأزهر بها اهتماما خاصا.

ومن خلال المبادئ الحجاجية للخطاب نتوقف إزاء أمرين في غاية الأهمية من الأدوات الحجاجية: أولهما: العوامل الحجاجية متمثلة في توظيف أدوات القصر، وليس من بين أدوات النفي، وثانيهما: الروابط الحجاجية متمثلة في توظيف بل، ولكن، ولأن، ثم نعرج على وظيفة القياس الحجاجي في تأكيد الأدلة والبراهين، ثم وضوح دور السلم الحجاجي في العملية الإقناعية.

أ- <u>العوامل الحجاجية</u>

استخدم الخطاب العوامل الحجاجية قصد التأثير والإقناع، وهذه العوامل لا تحد من طغيان الحجة بل تضبطها، ذلك لأنها "لا تربط بين متغيرات حجاجية؛ أي: بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما"[٢]، وهو دور محوري لهذه العوامل في بناء الحجج واستثمارها.

ومن هذه العوامل الحجاجية استعمال أداة القصر؛ النفي والاستثناء (لا...إلا)، عند البحث عن سبب للمآسي والكوارث التي حلَّت بالمجتمعات، يقول: **(فلا يظفرون بِسَبَبٍ واحدٍ منطقى، يُبرِّر هذه الكوارثَ التى أناخت مطاياها بساحاتِ الفُقَرَاء**

[١] اللغة والحجاج، د. أبو بكر العزاوي، ص٣٣.

[٢] السابق، ص٢٥.

واليتامى والأرامل والمُسنِّين، اللّهُمَّ إلّا سَببًا يَبدو معقولًا ومقبولًا، وهو تِجَارَةُ السِّلاح وتَسْويقُه)، وكأنه يقول لاسبب وراء هذه الكوارث إلا تجارة السلاح وليس هناك سبب آخر، فقصر هذا الدمار على هذه التجارة، وكأنه ينكر جميع الأسباب الأخرى من فقر وجهل ومرض ويجعل تجارة السلاح هي السبب الرئيس في تفجير الصراعات التي تصل بالمجتمعات إلى مراتب الانحطاط والفقر.

ومن خلال عامل القصر يعرض قضية حل مشكلات العالم من خلال طريق واحد لا ثاني له، يقول: **(ولا حَلّ فيما يُؤكِّدُ عُقلاءُ المُفَــكِّرين فى الغَربِ والشّرقِ إلّا فى إعادةِ الوعى برسالاتِ السّماء، وإخضاع الخِطاب الحَدَاثى المُنحَرِف لقِراءةٍ نقديّةٍ عَميقة)**، فلا حل موجود غير هذا الحل، فقصر حلول مشكلات البشرية على شيٍ واحد لا شيء سواه، وهو العودة إلى رسالات السماء(الأديان)، فجعل الأديان هي وحدها القادرة على ضبط العقل من الخواء والجموح وهما نقيضان دائما ما يقع فيهما العقل إذا خرج عما خلق من أجله.

ومن خلال المثالين اللذين ذكر فيهما هذا العامل الحجاجي المهم، يكون الخطاب قد ركز على قضيتين جوهريتين يجب علاجهما إذا كانت هناك مساع لحل مشكلات البشر؛ وهما وقف تجارة السلاح بالكلية، والإذعان دون تفكير لرسالات السماء.

ب- <u>الروابط الحجاجية</u>

جرى استدعاء الروابط الحجاجية بكثرة في الخطاب نظرا لطبيعته الحجاجية وقد بين البحث من خلال إحصاء أداة العطف الواو التي وردت ما يقرب من ١٤٥ مرة، كما أن أدوات مثل: بل، ولكن، لأن، كان لها دور الربط الحجاجي.

<u>الإضراب ببل وحجاجية الانتقال في الخطاب</u>، إن القيمة التعبيرية والتأثيرية التي يحدثها الإضراب على المتلقي عميقة الدلالة، لأن أصل الإضراب التحول من أمر إلى أمر آخر لإبطاله أو للانتقال عن الأول إلى الثاني لغرض يبغي المتكلم توضيحه حسب السياق، ودائما ما ينظر إلى غرض الإضراب؛ للوقوف على قصد المتكلم من ورائه، وبخاصة إذا كان وروده ظاهرة في الخطاب تدعو إلى البحث وراء دلالاتها لخدمة غرض الخطاب ومقاصده، والإضراب له أداة معروفة هي (بل)، "ومعناها الإضراب

عن الأول والإثبات للثاني؛ نحو قولك: ضربتُ زيداً بلْ عمراً"[1]، وهو الإضراب الإبطالي وهذا المعنى هو الأكثر شهرة، ولكن هناك معنى آخر يتنازع هذا المعنى يفهم من السياق، وهو الإضراب الانتقالي، ويمكن التفريق بين المعنيين بالتمثيل، "فإن تلاها جملة كان معنى الإضراب؛ إما الإبطال، نحو: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٦)؛ أي: بل هم عباد، وإما الانتقال من غرض إلى آخر، ومثاله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾(الأعلى:١٤-١٦)"[2]، فالإضراب إما إبطالي يبطل الحكم السابق عليه، أو انتقالي ينقل من غرض إلى آخر.

ويتضح من سياق الخطاب قيمة أداة الإضراب (بل) كأداة حجاجية حيث "لا يريد المرسل إبطال ما بعد بل، بقدر ما يريد الانتقال من درجة دنيا في الحجاج إلى درجة أعلى"[3]، فقد كُررت ثلاث مرات في مواضع مختلفة، فيذكر قولا ثم ينتقل منه في إضراب انتقالي إلى قول آخر من قبيل التتميم، مثال ذلك قوله: **(وممَّا يُثيرُ الإحباطَ أنْ تَحدُثَ هذه الأزمة الحادّة في القرنِ الواحدِ والعشرين، قرنِ التحضُّر والرُّقى وحُقُوق الإنسان، والتقدُّمِ العلمي والتِّقني الهائل، وفي عَصْرِ مؤسَّسَات السَّلام ومجالسِ الأمنِ، وتجريمِ استخدام القُوّة، والتّهديد بها في العَلاقات الدوليّة، بل عصرِ المَذاهب الاجتماعيةِ والفلسفات الإنسانيّة، والتبشير بالمُسَاواةِ المُطْلَقة ومُجتمع الطّبقة الواحدة، والحَدَاثَة اللادينيّة، ومَا بعد الحَدَاثة)**، فالإضراب هنا انتقالي ينتقل به من أوصاف القرن الواحد والعشرين وما فيه من تقدم تقني هائل وتطور في المؤسسات والقوانين، إلى مجالات أخرى شهدت أيضا تطورا غير مسبوق؛ كتطور العلوم الإنسانية من مذاهب اجتماعية وفلسفات، وكل العلوم المنوط بها حل مشكلات المجتمعات، وتتوسط (بل) بين شبكة الحقول الدلالية الأولى والثانية؛ فبين الجمل الأولى تناسب وتوافق في كونها مؤسسات متقدمة عما سبق من عصور الظلام التي عاشتها

---

[1] اللمع في العربية، أبو الفتح بن جني، ص٩٣، وانظر/ الأصول في النحو، أبو بكر بن السراج البغدادي، ص ٥٧/٢.

[2] مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ص١٥١، ١٥٢.

[3] استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م، ص٥١٥.

القرون السابقة، وبين الثانية توافق في كونها علوما معدَّة لخدمة البشرية، كما تحمل الأداة معنى التوبيخ لكل هذا التقدم المتنوع غير القادر على حل مشكلاته.

وفي الموضع الثاني وبعد أن ذكر براءة الأديان من تهمة العنف والإرهاب، وأن ما يحدث من تجاوزات ينسب إلى فهم الأتباع المغلوط، انتقل إلى الحضارات لينفي عنها التهمة نفسها، فقال: **(بل** لَيْسَت الحضَارة الأوروبيَّة حضارةَ إرهاب...)، فأتاح الإضراب الانتقال من نفي التهمة عن الديانات أولا، ثم عن الحضارات ثانيا ليخاطب العقل الذي يؤمن بالحضارات ولا يؤمن بالأديان، وليقيم عليه الحجة في ذلك، مع التناسب بين الألفاظ وتقارب حقولها المعرفية.

وفي الموضع الثالث؛ يقول: **(وهذا الباب من الاتهام لـــو فُـــتِـــحَ -كما هو مفتوحٌ على الإسلام الآن-فلَنْ يسلَم دينٌ ولا نظامٌ ولا حضارةٌ بل ولا تاريخٌ من تُهمة العُنف والإرهاب)**، ومجيئ (بل) هنا بعد أن عقَّب على براءة الأديان والحضارات ثم ارتقى إلى التاريخ وهو أعم وأكبر؛ لاستيعاب كل جوانب الأزمنة والأمكنة من بدء الخليقة حتى العصر الحديث، وقد قصر إضرابه على الإضراب الانتقالي وفيه فائدة التأكيد والاستمرار وتكامل الفكرة.

لكن وأثر الاستدراك في الخطاب، وردت لكن في الخطاب مرة واحدة تفيد استدراك المتكلم لقضية مهمة، فبعد أن بين عبر التسلسل المنطقي دواعي تسلم الأديان راية القيادة كبديل أصيل لمنتجات العقل البشري التي يشوبها التناقض والنقص، بادر مستدركا حتى يؤكد هذه القضية وليستدرك إلى جذب فئة من السامعين ربما تقول وماذا عن هذه الأديان التي تخرج الإرهاب ولا تستطيع نفع نفسها، فاستدرك قائلا: **(ولكن قبلَ ذلك يلزمنا العمل على تنقية صُورة الأديان مِمَّا عَلِقَ بها من فهومٍ مغلوطة، وتطبيقاتٍ مغشوشة وتديُّنٍ كاذبٍ يُؤجِّجُ الصِّراعَ ويبث الكراهية ويبعث على العُنف..)**، فكان لهذا الاستدراك قيمته في اكتمال أركان الحجة وجذب أكبر قدر من المتلقين الذين يُبعدون عن الأديان بهذه الأسباب أو يعرفون هذه الانحرافات عن أتباع الأديان لكنهم يخلطون بين تصرفات الأتباع ومناهج الأديان.

لأن وتأكيد النتيجة، يقول: **(وفى اعْتِقَادى أنّ الأرضَ الآن أصبحت مُمَهَّدة لأن تأخذ الأديان دورها فى إبرازِ قيمَة السَّلَام...)**، حيث جاءت (لأن) كأداة لإقامة الحجة، وعرض النتائج المتوصل إليها عقلا؛ فبعد فشل العقل ومنجزاته، جاء بهذه الحجة التي

أدرجها في سياق المحصلة لهذه الأسباب، كما ربطت بين القضايا السابق عرضها لانحراف الحضارات والفلسفات، وبين النتيجة المفهومة من كل هذا.

ت- <u>القياس الحجاجي</u>

وظف الخطاب آلية القياس الحجاجي في العملية الإقناعية، وجاءت على نحو يقطع الشك باليقين في براءة الإسلام من تهمة الإرهاب، وأن ما يشاع من نسبة هذه التهمة إلى الإسلام تلحق هذه التهمة بنظائره من الأديان الأخرى والحضارات أيضا؛ يقول: **(وألّا نُحاكِم الأديان بجرائمِ قِلّةٍ عابثةٍ من المؤمنين بهذا الدِّين أو ذاك، فلَيْسَ الإسلام دين إرهاب بسبب أن طائفة من المؤمنين به سارعوا لاختطاف بعض نصوصه وأولوها تأويلًا فاسدًا، ثم راحوا يسفكون بها الدماء ويقتلون الأبرياء ويروعون الآمنين، ويجدون مَن يمدهم بالمال والسلاح والتدريب.. ولَيْسَت المَسيحيّة دين إرهاب بسبب أن طائفة من المؤمنين بها حملوا الصليب وراحوا يحصدون الأرواح لا يفرقون فيها بين رجل وامرأة وطفل ومقاتل وأسير، وليست اليهودية دين إرهاب بسببِ توظيف تعاليم موسى (عليه السلام) –وحاشاه– توظيفها فى احتلالِ أراضٍ، راحَ ضَحيّته الملايين من أصحاب الحُقُوق من شَعْبِ فلسطين المَغْلُوب على أمره، بل لَيْسَت الحضَارة الأوروبيّة حضارةَ إرهاب بسببِ حربين عالَميتَين اندَلعتَا فى قلبِ أوروبا وراحَ ضَحيّتها أكثر من سبعين مليونًا من القتلى، ولا الحضارة الأمريكية حضارة إرهاب بسبب ما اقترفته قنابلها من تدمير البَشَر والحَجَرَ فى هيروشيما ونجازاكى، هذه كلها انحرافات عن نهج الأديان وعن منطق الحضارات وهذا الباب من الاتهام لـــو فُـــتِـــحَ –كما هو مفتوحٌ على الإسلام الآن–فلَنْ يسلَم دينٌ ولا نظامٌ ولا حضارةٌ بل ولا تاريخٌ من تُهمة العُنف والإرهاب)**، والفقرة على طولها الذي جاء في صورة الإطناب بزيادة اللفظ على المعنى لفائدة، رغم قصر الخطاب وإيجازه بشكل عام إلا أن الخطاب أطنب في هذا الجانب لفرط أهميته في نفي تهمة العنف عن الإسلام، فلم يترك دينا من الأديان السماوية، ولا حضارة من الحضارات الباقية القائمة إلا ويمكن وصمها بالإرهاب لتشابه ظروف الفهم الخاطئ عند جميعها.

وقد كان للأداة (ليس) دور النفي في الخطاب، وقد قرع تكرارها الأسماع أربع مرات ثم عدل عنها إلى الأداة (لا) في الخامسة حتى يدفع الملل بتكرارها خمس مرات فتحدث انتكاسة في العملية التأثيرية التي تركها استخدام أداة النفي (ليس).

ث- السلم الحجاجي

يتكئ السلم الحجاجي على سلامة ترتيب الحجج واعتدالها بطريقة تأخذ المتلقي من حجة أدنى إلى أخرى أعلى، لخدمة الغرض الرئيسي للخطاب، مع منطقية التسلسل في عرض الأفكار، وألا تناقض بين الحجج في الترتيب، ويكون الاعتماد على أن "كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه، وكل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه"[1]، وقد اعتمد خطاب الأزهر على هذه الآلية في سوق حججه بطريقة منظمة ومرتبة ترتيبا منطقيا بدءا من عرض أسباب المشكلات إلى الدعوة إلى حلها، مرورا بعدد من الحجج التي يأخذ بعضها برقاب بعض للوصول إلى السلام الضائع.

ويبن هذا الشكل طريقة سير القضايا وترتيبها من الأدنى إلى الأعلى

- دعوة الأزهر إلى السلام والعمل معا على تقديم الحلول لمشكلات العصر.
- وبالتالي نفي تهمة الإرهاب عن الإسلام لسوء فهم بعض الأتباع، وإلا فكل الديانات والحضارات متهمة بهذا (وذكر أمثله للأديان السماوية الموجودة، والحضارات الباقية المشاهدة).
- لا نحاكم الأديان بسبب قلة عابثة فهمت مناهج الأديان فهما خاطئا.
- تنقية صورة الأديان مما علق بها من أخطاء في الفهم.
- إعادة الوعي برسالات السماء (العودة إلى مناهج الأديان).
- السبب في ضياع السلام تجاهل الحضارة الحديثة للأديان.
- فشل القرن الواحد والعشرين (تقنياته الحديثة وفلسفاته الحداثية) في حل مشكلات العالم.
- تجارة السلاح سبب معاناة البشر.
- البحث عن السلام الضائع.

فمن خلال تراتب القضايا في الخطاب، يتبين حرص خطاب شيخ الأزهر على استعمال الحجج المنطقية المنظمة القابلة للتصديق، وذلك لتقريب المسافات بين الأفكار

[1] اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، د.طه عبد الرحمن، ص٢٧٧.

والمعتقدات المتباينة لحل مشكلات البشر على اختلاف دياناتهم وأعراقهم وألوانهم ولغاتهم.

وقد جاءت القضايا كما في الشكل الماضي مرتبة من أول قضية في الخطاب إلى آخر قضية، كما عرض الشكل السابق، لكن يمكن تمثيل أدق الحجج من خلال السلم التالي:

ويبين هذا الشكل طريقة سير الحجج وترتيبها من الأدنى إلى الأعلى

- لا حل إلا في تسلم الأديان راية القيادة لحل المشكلات.
- فشل الفلسفات والنظريات الاجتماعية في حل المشكلات.
- فشل التطور التقني والتكنولوجي في حل المشكلات.
- تجارة السلاح هي الأصل في الكوارث والمشكلات.

وقد حمل الخطاب بين طياته اهتماما بالعملية الحجاجية الإقناعية، من خلال وضوح استخدامه لأدوات الحجاج من الروابط والعوامل الحجاجية، والقياس الحجاجي، وأخيرا آلية السلم الحجاجي القائمة على التدرج في الإقناع.

سابعا: التصفيق ونقاط التلاقي مع الجمهور

التصفيق أحد نقاط التلاقي بين المتكلم والمستمع، وهو آلية من آليات التواصل والشعور بالتقارب بين الجانبين، بل ويدل دلالة واضحة على أن المتلقي قد جاوز مرحلة الارتياح النفسي الداخلي ثم بدا على وجهه التبسم كطغيان للرضا الداخلي، ثم تطور ذلك إلى إبراز هذا الرضا في صورة ضرب اليدين فرحا بما يقول المتكلم، وتشجيعا له وإعلاما صريحا بقبوله لما يعرض من أفكار، وليس كل التصفيق قبولا ورضا عن المتكلم، فهناك أنواع أخرى؛ كالتصفيق البطيء المتباعد الرافض لما يقوله المتكلم، أو تصفيق التأبين، وتتنوع مقاصد التصفيق حسب الغرض والموقف ونوعية الجمهور، ولكن المراد هنا تصفيق الرضا والقبول، و"التصفيق مفردة من مفردات لغة الجسد سواء أكان للفرد أو للمجموع، قد لا يزيد عن رمز لكنه يكشف عن مستوى الوعي وما إذا كان الناس يتصرفون في حدود المعقول أو يبالغون في الخروج على الأصول."[1]

[1] التصفيق، إبراهيم عرفات، صحيفة الأهرام المصرية، العدد ٤٧٠٢٥.

ويستطيع الناقد الحكم على صدق المشاعر من خلال الجمل التي يصفق بعدها الجمهور ابتهاجا بما يقول المرسل مع تحديد أهمية تلك الجمل والعبارات المختارة وقراءة الخطاب ثقافيا واجتماعيا؛ لأن "التصفيق ممارسة ثقافية؛ لذلك تختلف طريقة استخدامه ووظائفه وكيفية تأويله من ثقافة إلى أخرى ومن مجتمع إلى آخر. ومع ذلك فقد أدى كون التصفيق شعيرةً تواصلية في كثير من أشكال التواصل الجماهيري في الوقت الراهن إلى تحوله في بعض الأحيان إلى عرف مستقر، لا يختلف مداه الزمني أو مواقع حدوثه من ثقافة إلى أخرى"[1]، ومن خلال تقنية الفيديو(التسجيل) لوحظ عدد من المواضع التي صفق فيها الجمهور لخطاب شيخ الأزهر نلقي الضوء على هذه المواضع مع بيان دورها في الخطاب، وما فيها من استثارة وقبول عند متلقي الخطاب:

ففي الموضع الأول بعد أن ذكر المآسي التي يتعرض لها البشر والكوارث التي يراها الناس كل وقت وحين مع انتشار القنوات الفضائية، والشبكات العنكبوتية العملاقة، ومواقع التواصل الاجتماعي المتنوعة الأغراض، يحاول العقلاء أن يجدوا مبررا مقنعا لتلك الكوارث والمآسي، فيقول: **(اللّهُمَّ إلّا سَبَبًا يَبدو معقولًا ومقبولًا، وهو تِجَارَةُ السِّلاح وتَسْويقُه، وضمانُ تشغيل مصانع المَوت، والإثراء الفَاحِش من صفقات مُريبة، تسبقها قَرارَاتٌ دوليّةٌ طائشة)**، وطريقة عرض الفكرة هنا من حيث التشويق والإطالة في الترغيب وجذب انتباه السامع عبر طرح الأسئلة، ومحاولة إشراكه في التفكير في هذه الكوارث والمآسي، وبعد طول عرض لمقدمات الأمر وما يعانيه الناس من ويلات الحروب والهجرة غير الشرعية التي تودي بهم وتلقي بهم على شواطئ البحار غرقا وجثثا، يفاجأ الجميع بأن ما يحدث من هذه الأفاعيل بسبب تجارة السلاح الرائجة ذات المكاسب السريعة.

وبلاغة المتلقي هنا تتجلى في توقع السبب، لكن السبب بعيد كل البعد عن الذكر والإشارة إليه محظورة؛ لأن القائمين على مثل هذه التجارة أشد فتكا وبطشا لمن يلوح برفضها ويحشد الحشود للوقوف في وجهها؛ لذا كان تلقي الجمهور للسبب، يتنوع حسب مستوى الاهتمام بالقضية، فبعضهم فوجئ بالسبب واستحسنه، والبعض الآخر قرأ السبب وتوقعه، فلما ذكر السبب كان كالمنتبه اليقظ للحوادث من حوله؛ لذا بادر الجميع بالتصفيق قبولا لهذا السبب.

[1] التصفيق صوت سحري في عالم البشر، د. عماد عبد اللطيف، مجلة العربي، سبتمبر ٢٠٠٩م.

وأما الموضع الثاني فقد جاء عندما أراد أن يبرئ الإسلام من تهمة العنف والإرهاب حيث عدّد كثيرا من الانتهاكات التي فعلها أتباع الأديان والحضارات، ناسبا هذه الانحرافات إلى فئات قليلة فهمت مناهج الأديان فهما خاطئا وكذلك منطق الحضارات، ولما وصل إلى قوله: **(وليست اليهودية دين إرهاب بسببِ توظيف تعاليم موسى (عليه السلام) –وحاشاه– توظيفها فى احتلالِ أراضٍ، راحَ ضَحِيَّته الملايين من أصحاب الحُقُوق من شَعْبِ فلسطين المَغلُوب على أمرِه)**، فضجت القاعة بالتصفيق؛ لأن قضية فلسطين قضية شعوب عربية وإسلامية في المقام الأول، وذات اهتمام عند المسيحيين من المشارقة لوجود مقدسات الدين المسيحي هناك وهي تحت سيطرة اليهود، وكذلك رفض رجال الدين من الجانبين ومن خلفهم بقية المسلمين والمسيحيين لما يتعرض له الفلسطينيون من مآس وحروب والجميع يعرف أنها أرضهم فيتعاطفون معهم، كما أنه استخدم مصطلحا دارجا عند المصريين وهو (المَغلُوب على أمرِه)، ويقال هذا عندما يصبح صاحب الحق غير قادر نهائيا على مواجهة الظلم.

الموضع الثالث: بعد كلمة التقريظ التي قالها شيخ الأزهر في الخطاب متوجها بها إلى البابا فرنسيس بابا الفاتيكان، وآباء الكنائس الغربية والشرقية وقدم الغربية على الشرقية لوجود البابا ومن تبعه من أساقفة الكنائس في الغرب، وهم ضيوف عند آباء الكنائس الشرقية فقدمهم للعناية بهم، يقول في تقريظه: **(وإنّا لنقدِّرُ لكم –حضرة البابا– تصريحاتِكُم المُنصفَةَ، التى تدفعُ عن الإسلام والمسلمين تُهمَةَ العُنف والإرهاب، وقد لمسنا فيكم وفى هذه الكوكبة من آباء الكنائس الغربية والشرقية، حِرصًا على احترامِ العقائد والأديان ورموزها...)**، فصفق الحضور لهذا التقريظ لسببين: الأول: شكر البابا وآباء الكنائس على هذه المودة والعدل والإنصاف للدين الإسلامي خاصة من المسلمين، والثاني: شكر شيخ الأزهر على هذا التقريظ من جانب آباء الكنائس وجمهور المسيحيين، فحدث التوافق من جانب المتلقين مع اختلاف الأيديولوجيات والثقافة والأسباب والدواعي، وهناك مواضع أخرى للتصفيق كالتصفيق في بداية الخطاب وفي آخره وتلك عادات طبيعية في مثل هذه الخطابات.

وفي النهاية يستخلص البحث عددا من النتائج بعد قراءة هذا الخطاب:

- جمع الخطاب بين العقيدة والفلسفة؛ العقيدة في الدفاع عن الإسلام ضد تهمة الإرهاب، والفلسفة في ذكر مناهج الفلسفة المختلفة، التي أثبتت فشلها في حل مشكلات الإنسان.
- حضور الخلفية الثقافية لشيخ الأزهر في الخطاب عبر استخدامه لمصطلحات الفلسفات المعاصر والحداثة وما بعد الحداثة، وهو مجال اهتمامه وتخصصه وتعمقه.
- ملاءمة الخطاب لظروف إنتاجه مع الأزمات التي يمر بها العالم من قتل وتشريد وكوارث.
- تبين سيمياء الإشاريات توجه الخطاب وحدوده، والعلاقات بين المتكلم والسامع، ودلالات أسماء الأماكن والأشخاص.
- الترابط والتماسك بين البدء والختام، ففي البداية عرض للكوارث، وفي النهاية تقديم حلول لرفع المعاناة عن المظلومين.
- دوران مفردات الخطاب حول مصطلحات العصر الحديث، ومصطلحات الأديان، والسلام، والنظريات الحديثة في تشكيلة خطابية لم تخرج عن هذه المفردات؛ مما كان له الأثر الأكبر في حسن التوصيل والتوصيف للقضية.
- مهاجمة النظريات والفلسفات التي نصبت من نفسها مناهج لحل مشكلات العالم بعيدا عن الأديان، في الوقت الذي فشلت هي نفسها في حل مشكلاتها الداخلية؛ بانقسامات أعضائها وتكوين أكثر من مدرسة من رحم المدرسة الأم.
- توظيف آليات بلاغية وأسلوبية مناسبة لغرض الخطاب؛ كالتكرار، والاستفهام، والاستعارة، ومراعاة النظير،
- سيطر التكرار على الخطاب، فجاء في صورة تكرار الكلمة أكثر من مرة، أو المترادفات أو الجمل مما كان له أثره في تقرير الواقع، وكان للتركيز على مفردات وتراكيب وتكثيفها دور في عملية التأثير والمحاجة.
- سكت الخطاب عن التفصيلات التي لا طائل من ورائها، بل ربما تبعث على تشتيت الانتباه عن القضية، كما سكت عن قضايا الخلاف؛ لأن الخطاب يحاول أن يجمع السامعين على نشر ثقافة السلام.

- أدى فن مراعاة النظير دورا في جمع المنابع المتقاربة ذات الصلة لتأكيدها في الذهن وإثارة المتلقي بكثرة ورودها، وكذلك حتى يستوعب جميع الحضور مع اختلاف ثقافاتهم.
- جاء التناص والاستشهاد بالنصوص والإحالة إلى التاريخ لتأصيل القضية، والإقناع بالبرهنة والدليل، وما جاء من نصوص قرآنية كان لغرض نفي تهمة العنف والإرهاب، فالإسلام يدعو إلى تكريم الإنسان، والتعارف مع الآخر والتقارب معه لإعمار الكون.
- وظف الخطاب الروابط والعوامل الحجاجية، وكذلك القياس والسلم الحجاجي في العملية الإقناعية توظيفا دقيقا للوصول إلى النتائج المرجوة، وهي أدوات أظهرت حجاجية خطاب شيخ الأزهر.
- التصفيق ممارسة وحرية للمتلقي يوظفها كيف يشاء، ويرجع صدقها وكذبها إليه، فهو وحده الذي يحدد قيمتها وفاعليتها، وهي آلية من آليات بلاغته في الخطاب، وبعرض مواضع التصفيق مع بيان الدوافع بدا حسن استغلال المتلقي لهذه الخصيصة والأداة، وبدا وعيه من خلال القضايا التي تم التصفيق فيها عبر تقنية الفيديو.

ملحق

نص خطاب شيخ الأزهر في المؤتمر العالمي للسلام ١٢ إبريل ٢٠١٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الضيف الكبير الأخ العزيز حضـــــرة البابا/ فرانسيس بابا-الفاتيكان

السادة الحضور الكريم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وتحيّةً خالصةً من الأزْهَرِ الشّريف ومن مجلسِ حُكَمَاء المسلمين لحضراتكم، ممزوجةً بالشُّكر لاستجابتكم الكَريمة وزيارتكم التاريخيّة لمصرَ وللأزهر الشريف، هذه الزيارة التى تَجِيءُ في وقتِها تلبيةً لنداء الأزهر وللمُشاركة في مؤتمَرِه العالمى للسَّلامِ، هَذَا السَّلام الضَّائع الذى تبحث عنه شعوبٌ وبلاد وبؤساءُ ومرضى، وهائمون على وجوههم فى الصحراء، وفارُّون من أوطانهم إلى أوطانٍ أخرى نائية لا يدرون أيبلُغُونها أم يَحُولُ بينها وبينهم المَوتُ والهَلاكُ والغَرَقُ والأشلاءُ والجُثَثُ المُلقَاةُ على شواطئ البحار، فى مأساة إنسانيّة بالغة الحُزنِ، لا نَعْدُو الحَقِيقةَ لَوْ قُلنَا: إنّ التّاريخَ لَمْ يَعْرِف لها مَثيلًا من قَبلُ.

ولايَزالُ العُقَلاء وأصحاب الضّمائر اليَقِظَة يبحثونَ عَن سَبب مُقنِع وراء هذه المآسى التى كُتِبَ عَلَينا أن ندفعَ ثمنَها الفادحَ من أرواحنا ودمائنَا، فلا يظفرون بسَبَب واحد منطقى، يُبرِّر هذه الكوارثَ التى أناخت مطاياها بساحات الفُقَرَاء واليتامى والأرَامل والمُسنِّين، اللّهُمّ إلّا سَبَبًا يَبدو معقولًا ومقبولًا، وهو تِجَارَةُ السِّلاح وتَسْوِيقُه، وضمانُ تشغيل مصانع المَوت، والإثراء الفَاحِش من صفقاتٍ مُريبة، تسبقها قَرارَاتٌ دوليّةٌ طائشة.

ومِمَّا يُثيرُ الإحباطَ أنْ تَحدُثَ هذه الأزمة الحادّة فى القرنِ الواحد والعشرين، قرنِ التحضُّر والرُّقى وحُقُوق الإنسان، والتقدُّم العلمى والتِّقنى الهائل، وفي عَصْرِ مؤسّسَات السَّلام ومجالسِ الأمنِ، وتجريمِ استخدام القُوّة، والتّهديد بها فى العَلاقات الدوليّة، بل عصرِ المَذاهب الاجتماعية والفلسفات الإنسانيّة، والتبشير بالمُسَاواة المُطْلَقة ومُجتمع الطّبقة الواحدة، والحَدَاثَة اللادينيّة، ومَا بعد الحَدَاثة، إلى آخرِ هذه المُنجزات الاجتماعيّة والفلسَفيّة التى يتيه بها عصرنا الحَديث.

والسُّؤالُ المحورى فى هذه المُفارقة هو: كيف أصبحَ السَّلامُ العالمى الآن وسط كل هذه الإنجازات هو الفردوس المفقُود؟ وكيفَ شَهِدَ عصر حُقُوق الإنسان من

الأعمال الهَمَجيّة ما لم يَشْهَدَه عصرٌ من قَبلُ؟ والإجابة التى أعتقد أنّ حضراتكم توافقُونَنى عليها هى تجاهلُ الحضارة الحديثة للأديان الإلهيّة، وقيمها الخُلقيّة الرّاسخة التى لا تتبدّل بتبدُّل المصالح والأغراض، والنّزوات والشّهوات، وأوّلُها: قيمة الأُخوّة والتّعارُف والتّراحُم بين الناس، وتذكيرهم الدائم بأنّ الخَلْقَ كلّهم عِيَالُ الله، وأنّ أحبّهُم إلى الله أنفعهم لِعياله، وذلك حتى لا يتحوّل العالَم إلى غابةٍ من الوحوش الضّارية يعيش بعضُها على لحوم البعض.

ولا حَلّ فيما يُؤكّدُ عُقلاءُ المُفَـكّرين فى الغَربِ والشّرقِ إلّا فى إعادة الوعى برسالات السّماء، وإخضاع الخطاب الحَدَاثى المُنحَرِف لقراءة نقديّة عَميقة تنتشل العقل الإنسانى مما أصابه من فقر الفلسفة التجريبية وخوائها، وجموح العقل الفردى المُستبد وهيمنَته على حياة الأفراد. وفى اعْتِقَادى أنّ الأرضَ الآن أصبحت مُمَهّدة لأن تأخذ الأديان دورها فى إبراز قيمَة «السّلَام» وقيمَة العَدْلِ والمُسَاواة، واحترام الإنسان أيًّا كان دينُه ولَونُه وعِرقُه ولغتُه، وفى القُرآن الكريم الذى يَتلوه المسلمون صباحَ مساء نقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإســـراء :٧٠]، كما نقرأ فى باب التعارف والتراحم قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.

ولكن قبلَ ذلك يلزمنا العمل على تنقية صُورة الأديان ممّا عَلِقَ بها من فهوم مغلوطة، وتطبيقات مغشوشة وتديُّن كاذب يُؤجّجُ الصّرَاعَ ويبث الكراهية ويبعث على العُنف.. وألّا نُحاكم الأديان بجرائم قِلّة عابثة من المؤمنين بهذا الدِّين أو ذاك، فلَيْسَ الإسلام دين إرهاب بسبب أن طائفة من المؤمنين به سارعوا لاختطاف بعض نصوصه وأولوها تأويلًا فاسدًا، ثم راحوا يسفكون بها الدماء ويقتلون الأبرياء ويروعون الآمنين، ويجدون مَن يمدهم بالمال والسلاح والتدريب.. ولَيْسَت المَسيحيّة دين إرهاب بسبب أن طائفة من المؤمنين بها حملوا الصليب وراحوا يحصدون الأرواح لا يفرقون فيها بين رجل وامرأة وطفل ومقاتل وأسير، وليست اليهودية دين إرهاب بسبب توظيف تعاليم موسى (عليه السلام) –وحاشاه– توظيفها فى احتلال أراض، راحَ ضَحيّته الملايين من أصحاب الحُقُوق من شَعْبِ فلسطين المَغْلُوب على أمرِه، بل لَيْسَت الحضَارة الأوروبيّة حضارةَ إرهاب بسببِ حربين عالَميتَين اندَلعتَا فى

قلبِ أوروبا وراحَ ضَحيّتهما أكثر من سبعين مليونًا من القتلى، ولا الحضارة الأمريكية حضارة إرهاب بسبب ما اقترفته قنابلها من تدمير البَشَر والحَجَرَ فى هيروشيما ونجازاكى، هذه كلها انحرافات عن نهج الأديان وعن منطق الحضارات وهذا الباب من الاتهام لـــو فُـــتِـحَ -كما هو مفتوحٌ على الإسلام الآن-فلَنْ يسلَم دينٌ ولا نظامٌ ولا حضارةٌ بل ولا تاريخٌ من تُهمة العُنف والإرهاب.

وإنّا لنقدِّرُ لكم -حضرة البابا- تصريحاتِكُم المُنصفَةَ، التى تدفعُ عن الإسلام والمسلمين تُهمَةَ العُنف والإرهاب، وقد لمسنا فيكم وفى هذه الكوكبة من آباء الكنائس الغربية والشرقية، حرصًا على احترامِ العقائد والأديان ورموزها، والوقوف مَعًا فى وجه مَن يُسيء إليها، ومَن يُوظِّفها فى إشعال الصِّراع بين المؤمنين.

هذَا، ولا يَزالُ الأزهرُ يسعى من أجلِ التعاون فى مجال الدّعوَةِ إلى ترسيخ فلسفة العَيْش المُشتَرَك وإحياء منهجِ الحوار، واحترام عقائد الآخرين، والعملِ معًا فى مجالِ المُتفق عليه بين المؤمنينَ بالأديان وهو كثيرٌ وكثيرٌ..

فلْنَسْعَ معًا من أجلِ المُستضعَفين والجائعين والخائفين والأسرى والمُعذّبين فى الأرضِ دون فرزٍ ولا تصنيفٍ ولا تمييز. ولنعملْ معًا على استنقاذِ كيانِ الأُسرة ممّا يُتربّص بها من انفلاتِ الأخلاق، وانحرافاتِ البَحث العلمى، واستنقاذِ البيئة من الفَسَادِ والمُفْسِدينَ في الأرض. ولنقف معًا فى وجهِ سياسات الهيمنة، ونظريات: صراع الحضارات، ونهاية التاريخ، ودعوات الإلحاد، والعقلية الميكيافيليّة، والحداثة اللادينيَّة، وفلسفاتِ تأليهِ الإنسانِ، وما ينشأ عن كلِّ ذلك من مآسٍ وكوارثَ فى كل مكانٍ.

وفى خِتامِ كَلمَتى أتوجهُ إلى الله الرَّحمن الرَّحيم أن يُبَارِكَ هذا اللِّقاءَ، وأنْ يَجْعَلَ منه خطوةً حقيقيةً نتعاونُ فيها جميعًا على نَشْرِ ثقافَة السَّلام والتآخى والعَيْش المُشتَرَك بين الناس.

شكرًا لكم والسَّلامُ عَلـــــيْكُم ورَحْمَـــةُ اللهِ وبَرَكَاتُه

المصادر والمراجع

- الاتجاهات الحديثة في علم الأساليب وتحليل الخطاب، د. علي عزت، شركة أبو الهول للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.
- الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي، تحقيق: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.
- استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.
- إشكالية التلقي والتأويل، سامح الرواشدة، أمانة عمَّان، الأردن، ط ٢٠٠١.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج البغدادي، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.
- البلاغة وتحليل الخطاب، حسين خالفي، دار الفارابي، بيروت، دار الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠١١م.
- البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط١، سنة ١٩٦٨م.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤م.
- تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، إبراهيم صحراوي، دار الآفاق، الجزائر، ط١، ١٩٩٩م.
- تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، دار التنوير، بيروت، ط١٩٨٥م.
- الحرب النفسية، أضواء إسلامية، د. فهمي النجار، دار الفضيلة، الرياض، د.ت.
- حركات الشعر الحديث في سوريا من خلال أعلامه، أحمد بسام ساعي، دار المأمون للتراث، دمشق، د.ت.
- حفريات المعرفة، ميشال فوكو، ترجمة: سالم يفوت، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء ط ٢، ١٩٨٧م.

- خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي، تحقيق: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
- دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: د. محمد التنجي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د. عز الدين إسماعيل، دار العودة، لبنان، بيروت، د.ت.
- علم الدلالة (علم المعنى)، د. محمد علي الخولي، دار الفلاح للنشر والتوزيع، الأردن، طبعة ٢٠٠١م.
- في بلاغة الخطاب الإقناعي (مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية)، د.محمد العمري، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢م.
- قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، د. محمد عبد المطلب، لونجمان، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
- الكشاف، للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط ١٤٠٧هـ.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار صادر – بيروت، ط١، د.ت.
- لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- لغة الخطاب السياسي (دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال)، محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
- اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، ط ١٩٧٢م.
- مسند أبي يعلى، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، ط١، ١٩٨٤م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية لبنان، بيروت، د.ت.

- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩م.
- معجم النقد العربي القديم، د. أحمد مطلوب، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط١، ١٩٨٩م.
- المعين على تفهم الأربعين، لابن الملقن سراج الدين الشافعي المصري، تحقيق: د. دغش بن شبيب العجمي، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، حولي، الكويت، ط١، ٢٠١٢م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٥م.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز، د.ت.
- مقدمة تفسير ابن النقيب (المطبوع خطأ بعنوان الفوائد المشوق، لابن قيم الجوزية)، لأبي عبد الله جمال الدين البلخي، تحقيق: د. زكريا سعيد علي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.
- مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، دار إفريقيا الشرق، المغرب– بيروت، ط ٢٠٠٢م.
- النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسان، دار عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.
- النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، علي بن عيسى أبو الحسن الرماني، تحقيق: محمد خلف الله وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٧٦م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين النويري، تحقيق: د.علي بو ملحِم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت.

<u>دوريات ومجلات ومواقع الكترونية</u>

- الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، يحي أحمد، مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٠، العدد٣، سنة ١٩٨٩م.

- إطار مقترح لتحليل الخطاب التراثي، تطبيقا على خطب حادثة السقيفة، د. عماد عبد اللطيف، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تزي وزو–الجزائر، العدد ١٤، عام ٢٠١٣م.
- التصفيق صوت سحري في عالم البشر، د. عماد عبد اللطيف، مجلة العربي، الكويت، سبتمبر ٢٠٠٩م.
- التصفيق، إبراهيم عرفات، صحيفة الأهرام المصرية، العدد ٤٧٠٢٥، السنة ١٤٠، ٢٢من ذي القعدة ١٤٣٦هـــــ، ٦سبتمبر ٢٠١٥ م.
- شيخ الأزهر، فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد أحمد الطيب، سيرة ذاتية في بوابة الأزهر. http://www.azhar.eg/m-alazhar/sheikh-alazhar
- من تحليل الخطاب إلى التحليل النقدي للخطاب، محمد لطفي الزليطني، مجلة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري تزي وزو – الجزائر، العدد ١٧، عام ٢٠١٤م.